BAITUSSALAM PUBLICATIONS

مجلة إسلامية تربوية تعليمية تصدر عن جامعة بيت السلام كراتشي

مجلة السلام

قوة التركيز

حياة بعد الاحتضار

العدد الثاني	رجب	شعبان	رمضان	سنة ١٤٤٢هـ
السنة التاسعة	أيار	حزيران	تمّوز	عام ٢٠٢١م

أيا صوفيا عبر التاريخ

انحطاط أخلاقِ المُجتمَع وحَلّه في ضَوءِ القرآنِ والسُّنّة

منح ومكافآت

تعلن جمعية بيت السلام الخيرية عن مكافآت ومنح تعليمية

للمتفوقين في اختبارات هيئة وفاق المدارس العربية بباكستان:

المكافآت

1. "300000 " روبية للحاصل على مرتبة الشرف الأولى في جميع المراحل التعليمية من العامة إلى العالمية في اختبارات هيئة الوفاق، على مستوى الإقليم.
2. "70000"روبية للحاصل على مرتبة الشرف الأولى في مرحلة العالمية في السنة الثانية على مستوى الدولة.
3. "60000" روبية للحاصل على مرتبة الشرف الثانية في مرحلة العالمية في السنة الثانية على مستوى الدولة.
4. "50000" روبية للحاصل على مرتبة الشرف الثالثة في مرحلة العالمية في السنة الثانية على مستوى الدولة.

المنح الخاصّة

هذا ويسر جمعية بيت السلام الخيرية أيضا أن تعلن عن مكافآت ومنح تعليمية خاصه بطلاب جامعة بيت السلام، مرتبة على ما يلي:

1. للمتفوق في جميع المراحل حتى التخرج "٣٠٠٠٠٠"مبلغا.
2. منحة نقدية شهرية للمتفوق في اختبار صفه مستمرة إلى وقت الاختبار التالي.
3. كتب وجوائز ثمينة للمتفوقين في الصفوف.
4. منحة مستمرّة للمتفوقين الراغبين بمواصلة الدراسة في دورة الحديث في أي جامعة معروفة.

مساعدة الطلّاب الأكارم و خدمتهم شرف كبير للجمعية و فخر عظيم لأعضائها، وسعادة في الدارين.

رئاسة جمعية بيت السلام الخيرية

أسرة المجلة

تحت رعاية ذكرى

سماحة الشيخ سليم الله خان الموقر- رحمه الله -

المدير

أ.ضياء حسين الولي

نائب المدير

أ.أبوآسية محمود الحق

المستشارون

د.عبد المعزّ فضل عبد الرزاق المصري

أ.د. أحمد ياسين زئي

أ.محمد بلال البربري

أ.محمد عامر خالد

الإخراج

دار فهم الدين للنشر

الطباعة

مطبع واسا

التزيين والتصميم

INNOVATION

: +92 316 8056863

: info@makinnovation.biz

عنوان المراسلة والحوالة المالية:

مجلة السلام الفصلية-٢٦ سي، الطابق الأرضي، سن سيت كمرشل ستريت٢، شارع خيابان جامي، بجوار مسجد بيت السلام، ديفينس فرع ٤كراتشي، باكستان.

المراسلات باسم رئيس التحرير:

البريد الالكتروني:majallatussalam@gmail.com

رقم الاتصال: ٣٣٨٨٥٦٥-٣٠٤-٩٢+

٢٣١٦٩٦٧-٣٠٠-٩٢+

للاشتراك والشراء:٢٩٨١٣٤٤-٣١٤-٩٢+

سعر النسخة:٥٠ روبية

إعلام

نودّ أن ننبّه السادة المشاركين بضوابط الكتابة في المجلّة:

١. الالتزام بالأمانة العلمية، وصحة النقل.

٢. الكتابة ضمن أهداف "المجلّة "دينية، تربوية، تعليمية.

٣. ضبط توثيق المراجع حسب الطريقة التالية: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تحقيقه، ط، سنة، ج، ص....

٤. الكاتب هو المسؤول الأساسي على مقاله.

٥. المجلة غير مسؤولة عن أيّ إخلال لم تتنبه إليه شأنه الإساءة إلى الساحة العلمية.

جزاكم الله خيرا

محتويات العدد

05 الافتتاحية
قوة التركيز
مدير المجلة

06 من معارف القرآن
تأمّلاتٌ بلاغيّة في سورة يوسف
أ. عبد الرشيد جلال آبادي

08 من هدي النبوة
استحيوا من الله حقَّ الحياء
د. محمد بلال إبراهيم البربري

10 التوجيه الإسلامي
إنه شهر القرآن الكريم
خطبة الحرمين الشريفين

12 التوجيه الإسلامي
تحدّيات العصر الجديد وردودها
أ. ضياء حسين الولي

14 ملف العدد
أيا صوفيا عبر التاريخ
د. محمد ذيشان خان

16 ملف العدد
انحِطاطُ أخلاقِ المُجتَمَعِ وحَلُّه في ضَوءِ القرآنِ والسُّنّةِ
محمّد داود گل فراز خان السّواتي

20 من حياة بعض الأعلام
ذكريات
أ. رضوان حفيظ

22 العلم والثقافة
الصَّحابة كلّهم عَدول
الشيخ فخر الاسلام المدني
الاستاذ بالجامعة الإسلامية بنوري تاون

24 العلم والثقافة
آليات الشكر عند الشعور بالنعم
د. أحمد الطيبي

26 أدبيات
حياة بعد الاحتضار

28 نبيل الناصح
ما هو غذاء الطفل العقلي؟
الإدارة

30 ينابيع المعرفة
الإدارة

32 درس التلميذ
أيهما سارق؟
محمد حذيفة رفيق

34 الصفحة الأخيرة
من السعود إلى النحوس
بنت سردار عظيم/الطالبة بالمدرسة العثمانية

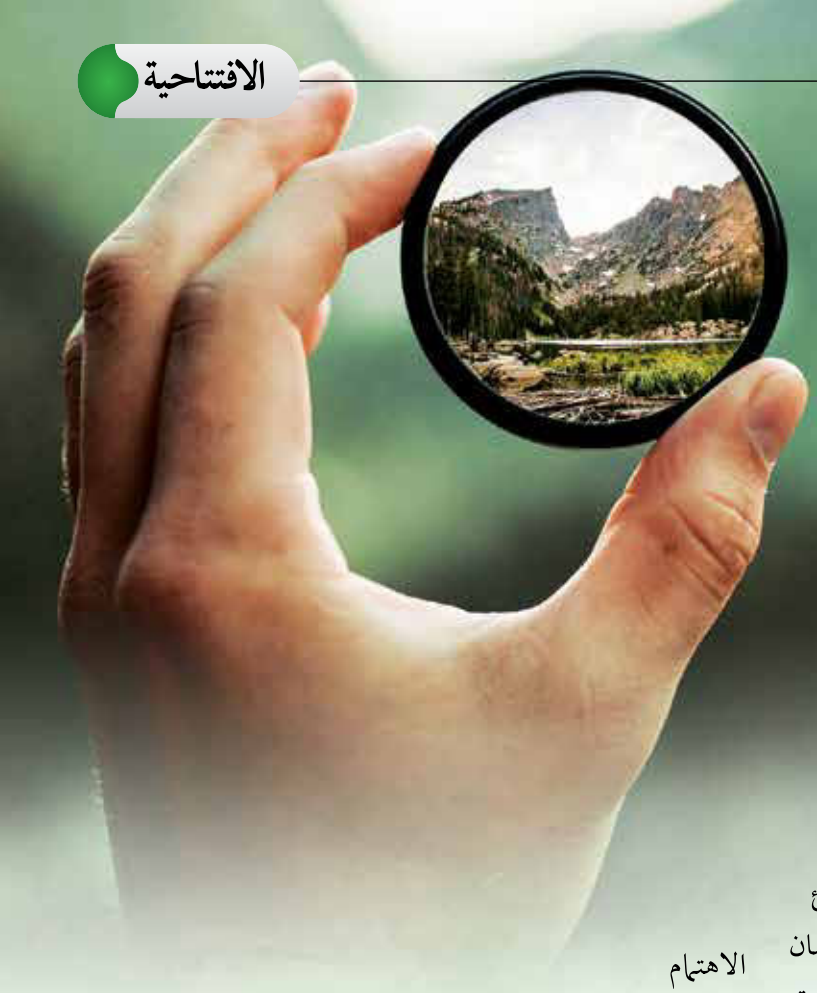

قوة التركيز

مدير المجلّة

نعيش في عصر الضوضاء والصخب والتشويش، ونحيى بظل الاختراعات والصناعات والإبداعات التي تحمل في حوضتها اختلاف النوع وتعدّد الشكل، وتميّز الجودة، ما سهّل الحياة على الناس، فأصبح ما كان يحلمه المرء في الماضي،تحقّق في عصرنا في صورة الواقع، تعددت وسائل الترفيه وكثرت مصادر المعلومات وتحققت أحلام الأمنيات، ولعلّ الخط المستقيم الذي يفصل الإنسان الصاخب الجديد من الإنسان الهادئ القديم، هو التجديد، والتحليق والانفتاح، وأحسن الإنسان الجديد استعمالها في الإنتاج والإنجاز في الصناعات والإنجازات والاختراعات بشكل جميل، فتولّد بجهوده عصر متحضّر متنافس، أثار أفكار الناس وأشعل عواطفهم وحرّك عقولهم، ما ساعد في انتشار الذهن وتشتت الدماغ وسرحان القلب، وأثبت للإنسان الجديد عدم التوازن في الطاقة الدماغية والارتكاز العقلي.

وهذا يعلمه الجميع أنّ العقل السارح والدماغ المشغول لاينتجان شيئا ملموسا في الحياة في شكل المهارة والصلاحية والصناعة، ولايخرج الشخصُ السرحانُ بأمر جميل يطلبه سوق العمل. وتركيز العقل والدماغ يحسن الإتقان والإنتاج ويسيّر العمل بصورة مطلوبة في وقت يسير وبشكل رائع، ولكن ما هوالتركير؟ فالتركيز توجيه الأفكار والإرادة إلى موضوع واحد فقط، دون المواضيع الأخرى، وشرح هذا الموجز بتعبير توضيحي دقيق: أنّ التركيز ما هو إلّا توجيه الذهن إلى موضوع بعينه توجيها كاملا، كأنّ الشخص يحصر تفكيره ويعصر ذهنه في حلّ مشكلة من المشاكل أوتحليل لغز من الألغاز، وينظر في جميع زواياها وجوانبها للغربلة والمقارنة حتى الوصول إلى نقطة الحل وبرّ السلام.

ولايمكن إنكار أهمّية التركيز في صناعة النجاح وتزجية الحياة، بل أصبح التركيز رمزا بارزا للناجحين، واحتل مركزا مرموقا في مقومات النجاح وضروريات الجودة، يقول أ.جريس: "إنّ صبّ الاهتمام في العمل أو المشكلة التي قيد البحث، والوصول إلى قرار، بحيث تستعيد قوة تركيز ذهنك كاملة غير منقوصة من أهم الأسباب المؤدية إلى النجاح في الحياة" ويقولون: "إنّ حصر الاهتمام هو أوّل مقومات العبقرية" وكان سلفنا الصالح يعتنون به أشد اعتناء، قيل لبعض السلف: هل تحدث نفسك بشيء من الدنيا في الصلاة؟ فقال: لا في الصلاة ولا في غيرها. وقال ميمون بن مهران: ما رأيت مسلم بن يسار ملتفتا في صلاة قط، ولقد انهدمت ناحية المسجد وهو في الداخل يصلّى، فلم يلتفت.

فالتركيز يعلّم المرء السيطرة على الأفكار المتعددة، ويطلقه من أغلال الأفكار الزائفة الزائدة الجوفاء، إضافة إلى إحداث التنشيط في الذاكرة الدماغية لإيجاد الحلول، وإكمال الثقة بالنفس، وزيادة العزيمة والإصرار على العمل، وإنشاء القدرة على الفهم، فنحن اليوم أحوج إليه من أي وقت آخر، نحتاج إلى تدريب العقل والذهن على التركيز، ليتمكن لنا المسير في مواكبة قطار الحياة السريع ولنسلم من الشرود والسرحان لتربية الجيل الجديد إن كنا مربين معلمين، ولإصلاح المجتمع إن كنا داعين مصلحين ، ولترقية الأمة إن كنّا مفكرين مثقفين. فالتركيز يولّد الطاقة والعبقرية، الطاقة والعبقرية لاتعرفان المستحيل.

والسلام

تأمّلاتٌ بلاغيّة في سورة يوسف

أ.عبد الرشيد جلال آبادي
الحلقة الثالثة عشر

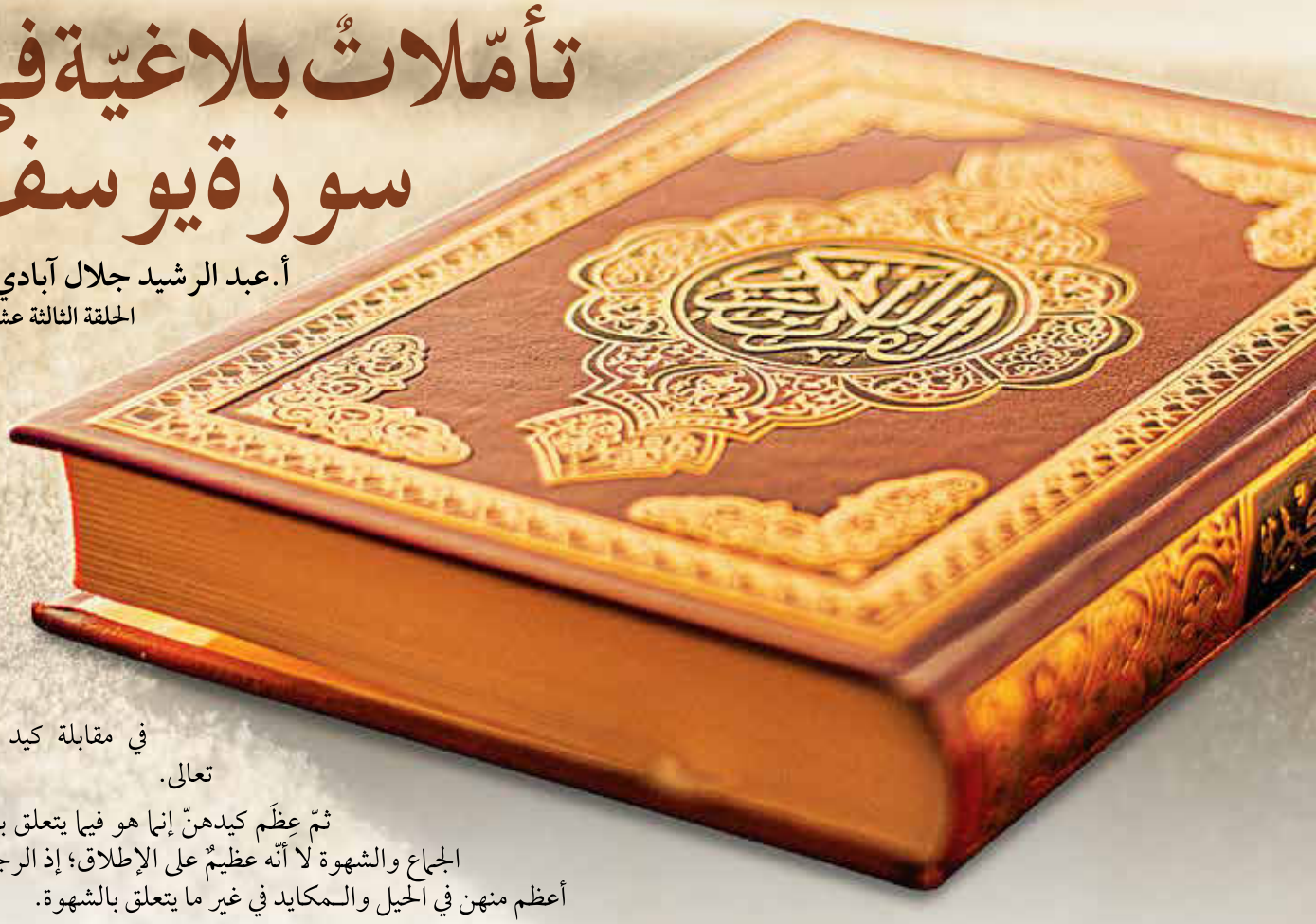

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٢]

نكتة تعميم الخطاب لامرأة العزيز ولغيرها من النساء في قوله: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾

قوله: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ هذا تكذيبٌ لها وتصديقٌ له – عليه السلام– على ألطفِ وجهٍ، كأنه قيل: أنتِ التي راودته فلم يفعله وفرّ، فاجتذبته، فشققتِ قميصه، فهو الصادق في إسناد المراودة إليكِ، وأنتِ الكاذبةُ في نسبة السوء إليه.

ثمّ لمّا علِم عزيز مصر براءة يوسف – عليه السلام– وصدقه، وعلم كِذْب زوجته، كان الظاهر أن يخاطبها وحدها، فيقول: إنّه من كيدكِ إنّ كيدكِ عظيمٌ، ولكنّه عدل عن تخصيص زوجته بالخطاب وحدها إلى تعميم الخطاب لها ولغيرها من النساء حيث قال: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾، والسر فيه هو التنبيه على أنّ الكيد وإن صدَر هنا منها وحدها، فإنّ الحِيَل والمكايد لا تختصّ بها، بل هو خلقٌ عريقٌ لهنّ جميعًا.

نكتة في وصف الكيد بالعِظم:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف:٨٢]، عِظَمُ كيدهنّ إنّما هو بالنسبة إلى كيد الرجال، وأما ضُعف كيد الشيطان كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النسا:٦٧]، فهو في مقابلة كيد الله تعالى.

ثمّ عِظَم كيدهنّ إنما هو فيما يتعلق بأمر الجماع والشهوة لا أنّه عظيمٌ على الإطلاق؛ إذ الرجال أعظم منهن في الحيل والمكايد في غير ما يتعلق بالشهوة.

وإنما كان كيدهنّ عظيما؛ لأنّ كيدهنّ أعظم من كيد جميع البشر في إتمام مرادهنّ، لا يقدر عليه الرجال في هذا الباب (الشهوة والجماع)، فإنّه ألطف، وأعلق بالقلب – إذ القلوب تميل إليهنّ – وأشدّ تأثيراً في النفس، وذلك قد يورث من العار ما لا يورثه كيد الرجال. قال الآلوسي: ولربّات القصور (الحضريات) منهنّ الحظّ الأوفر من ذلك؛ لأنّهن أكثر تفرّغا من غيرهنّ (البدويّات)، مع كثرة مجيء النسوة الكيّادات إليهنّ، فهنّ جوامعُ كوامل.

ولِعِظَم كيدهنّ اتّخذهنّ إبليس – عليه اللعنة – وسائلَ لإغواء مَن صعُب عليه إغواؤه، ففي الخبر: "ما أيِس الشيطانُ من أحدٍ إلا أتاه من قِبَلِ النساء" .

قال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف: ٩٢]

نكتة في حذف حرف النداء، ونداء يوسف – عليه السلام – باسمه العلم:-

قوله: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ﴾ [يوسف:٩٢]

﴿يُوسُفُ﴾ منادى حذف منه حرف النداء، أي: يا يوسف، وإنّما حذف منه حرف النداء؛ لأنّ المنادى إذا كان قريبًا متفطّنا للحديث، فقد يحذف معه حرف النداء، فإنّ حرف النداء يؤتى به إمّا لبعد المنادى حقيقةً أو حكما، فيُطلبُ إقباله به، وإما لكونه غافلا ساهيا، فيراد به تنبيهه وإيقاظه عن سنة الغفلة، وهذان السببان غير موجودين في يوسف – عليه السلام–؛ لقربه ولكمال

تفطّنه وذكائه.

وفي نداء عزيز مصر ليوسف – عليه السلام – باسمه العلم تقريبٌ له وتلطيفٌ.

نكتة في إيراد ﴿ٱلۡخَٰطِـِٔينَ﴾ بدل الأصل المتبادر "الخاطئات":

كان الأصل المتبادر أن يقول عزيز مصر مخاطبًا لامرأته: إنّكِ كنتِ من الخاطئات، بجمع المؤنّث السّالم؛ لأنّه يخاطب امرءة لا رجلا، وإنّما عدل عنه إلى ﴿ٱلۡخَٰطِـِٔينَ﴾، وهو جمعُ مذكّر سالم؛ تغليبا للذكور على الإناث؛ لأنّه قصد الإخبار عن المذكّر والمؤنّث، أي: إنّكِ من النّاس الخاطئين، أو من القوم الخاطئين، فغلّب المذكّر على المؤنث، ومثله قوله تعالى في بلقيس، ملكة سبأ: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾[النمل: ٣٤]، وقوله تعالى في مريم – عليها السّلام –: ﴿وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ٢١].

والنكتة في هذا التغليب هي الدلالة على أنّ الجرأة على المراودة والطلب الصريح لا تكون عادةً من النساء، بل يقتصرن على الإغراءات والحركات، والزينة والتخضّع بالقول، وإبداء المفاتن، وإنما تكون هذه المراودة المقترنة بالطلب الصريح من الرجال الخاطئين، فاختير في التعبير ﴿ٱلۡخَٰطِـِٔينَ﴾؛ ليدلّ أنّ هذا التجاسر العظيم منها عَلَنًا من غير مبالاةٍ من أوصاف الذكور، وأنّ جرأتها لم تكن تقل عن جرأة الرجال الخاطئين. والله تعالى أعلم!

******

هذه التأملات مستفادة من التفاسير التالية: البحر المحيط، روح المعاني، الكشّاف، التفسير الكبير، أبوالسّعود، فتح القدير، فتح البيان، حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي، القرطبي، معترك الأقران في إعجاز القرآن.

أرض فلسطين ملفوفة بالبركات

بوركت فلسطين في القرآن الكريم ست مرّات، وقدّست مرّة. والأرض المقدسة أي المطهرة، والتي لا يُعَمِّر فيها ظالم، لهذا تميزت فلسطين على باقي بقاع الأرض بأنها المقدسة والمباركة. قال العز بن عبد السلام: "اختلف العلماء في هذه البركة، فقيل بالرسل والأنبياء، وقيل: بالثمار والمياه [١]. العز بن عبد السلام: ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام، مكتبة المنار: عمان، ص٤٢ وقال الطبري: "جعلنا البركة لسكانه في معايشهم، وأقواتهم، وحروثهم وغروسهم[٢]، الطبري: تفسير الطبري٦/ ٦٦.

فهذه البركة غير مقيدة ولا محدودة، فهي شاملة لكل أنواع البركة، البركة الإيمانية، والبركة الأخلاقية، والبركة التاريخية، والبركة السياسية، والبركة الاجتماعية، والبركة الجهادية، وهذه البركة ربانية ثابتة مستقرة، ولن ينجح الأعداء في انتزاعها وتفريغها منها، مهما بذلوا من جهود. ويركه فلسطين وبيت المقدس نوعان هي:

١-البركة المعنوية: حيث "بعث في بلاد الشام الكثير من الأنبياء، فانتشرت في العالمين شرائعهم، وآثارهم الدينية؛ وهي البركات الحقيقية" وعلى سبيل المثال: فقد" عاش فيها من الرسل: داود وسليمان وعيسى وهاجر إليها: إبراهيم ولوط، فهي مهبط الملائكة، ومرقد الأنبياء، ودفن في القدس: بعض الصحابة والتابعين، والكثير من العلماء"وفي ليلة الإسراء والمعراج. كانت أول صلاة جماعة تقام على وجه الأرض...وكانت في المسجد الأقصى. وفي ليلة الاسراء والمعراج جمع الله الأنبياء جميعا من أولهم إلى أخرهم فأمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ابن كثير: "فدل هذا على أنه الإمام الأعظم والرئيس المقدم"، قال الله تعالى: { سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير}[الإسراء ١]

٢-البركة الحسية: وهي: بكثرة الماء، والشجر، والثمر، والخصب، وطيب العيش، ومعلوم أن بلاد الشام وعلى الأخص فلسطين، تتمتع بهذا النوع من البركة والخير[٣]. انظر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم٣/ ٣.

٣-مراحل البركة: لقد مرت البركة الربانية لأرض فلسطين "القدس وبيت المقدس" بعدة مراحل تاريخية أشارت آيات القرآن الكريم إلى ست مراحل منها وهي كالتالي: المرحلة الأولى: هجرة إبراهيم ولوط عليهما السلام قادمين من العراق كما في قوله تَعَالى: {وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ }[سورة الأنبياء: الآية ١٧]

المرحلة الثانية: البركة التي جعلها الله على إبراهيم وابنه إسحاق عليهما وذريتهما الصالحة عندما أقاما في الأرض المباركة كما في قوله تعالى: {وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ * وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ}[الصافات:٢١١-٣١١].

المرحلة الثالثة: توريث الله المؤمنين من بني إسرائيل زمن موسى عليه السلام كما في قوله تَعالى: { وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ }[ال أعراف٧٣١] المرحلة الرابعة: حكم سليمان عليه السلام لهذه الأرض المباركة وانتشار الخير والنماء فيها كما قال سبحانه وتعالى: { وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا }[سورة الأنبياء ١٨]

المرحلة الخامسة: انتشار القرى الظاهرة العامرة بين هذه الأرض وبين اليمن، أثناء حكم سليمان عليه السلام مظهر من مظاهر الحكم بشرع الله كما قال سبحانه: {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً }[سبأ: الآية ٨١-٩١]. وهي قُرى بيتِ المقدس. المرحلة السادسة: انتهاء هذه الأرض للأمة المسلمة واستقرارها لها ووراثة الأمة لحكمها بعد هذه الجولة التاريخية الطويلة وبقاؤها فيها حتى قيام الساعة – باستثناء فترات تاريخية قصيرة كما قال سبحانه: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ } .[سورة الإسراء: الآية ١].

جزء من مقالة د.مروح نصار

استحيوا من الله حقَّ الحياء

د. محمد بلال إبراهيم البربري

محاضر بقسم العلوم الإسلامية الكلية الفيدرالية الحكومية، إسلام آباد

المدخل:

ورد في غير واحد من الأحاديث بيان فضيلة خلق الحياء، حيث ذُكر كونُه شعبة من الإيمان، وعُدّ مجلبة الخير، وموصلًا إلى الجنة، وسببًا لزينة العمل والحياة، وأدرج في فهرسة خُلُق الإسلام،(١) وذلك لأن الحياء هو الكف عن كل ما لايرضى منه الطبع السليم ويتنفر منه العقل الرشيد، ومن رزق هذا الخلق، فقد فتح له أبواب الخير ومن حرم منه فهو على عتبة باب مفتوح على مصراعيه ومؤدٍّ إلى الفضائح والمهلكات، وقال ابن الأثير: إنما جعل الحياء بعض الإيمان، لأن الإيمان ينقسم إلى ائتمار بما أمر الله به، وانتهاء عما نهى الله عنه، فإذا حصل الانتهاء بالحياء كان بعض الإيمان، (٢) فاللهم ارزقنا الحياء ومتِّعنا بخيراته وأعذنا من التفحش والوقاحة والخلاعة ونجنا من سفاسف الأفعال والأعمال وشرورها، آمين.

اقتبسنا لهذه الحلقة نصيحةً نبوية على صاحبها الصلوة والسلام مروية في جامع الإمام الترمذي، والتي أمر فيها النبي صلى الله عليه وسلم أمته بالتخلق بالحياء وأرشد إلى المعنى الحقيقي للحياء الكامل من الله سبحانه وتعالى بكلمات جامعة ونافعة.

نص الحديث:

روى الإمام الترمذي في جامعه بسنده عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: استحيوا من الله حقَّ الحياء، قلنا: يا رسول الله، إنا لنستحيي والحمد لله، قال: ليس ذلك، ولكن الاستحياء من الله حقَّ الحياء أن تحفظ الرأس وما وَعَى، والبطن وما حوى، وأن تذكُر الموت والبِلَى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله. رقم الحديث: ٢٤٥٨.

تحليل كلمة "الحياء":

فمادة الحياء الحاء واليائين وبالألف الممدودة في آخرها، وهي التُّؤَبَة والحشمة، قاله الفيروزآبادي (٣) والتؤبة انقباض النفس، وعرّفه السيد الشريف الجرجاني الحياء بأنه انقباض النفس من شيء وتركه حذرًا عن اللوم فيه، ثم ذكر الجرجاني نوعين للحياء، أحدهما: نفساني وهو الذي خلقه الله تعالى في النفوس كلها كالحياء من كشف العورة والجماع بين الناس، والثاني: إيماني وهو أن يمنع المؤمن من فعل المعاصي خوفا من الله تعالى.(٤)

وربما يختلط معنى الخجل بالحياء لاشتراك كيفية الانقباض والكف والعيّ فيهما، مع أن الخجل منقصة وعيب بينما الحياء مكملة وحسن، فذكر الإمام اللغوي أبو الهلال العسكري الفرق بينهما إذ قال: الخجل معنى يظهر في الوجه لغم يلحق القلب عند ذهاب حجة أو ظهور على ريبة وما أشبه ذلك فهو شئ تتغير به الهيبة، والحياء هو الارتداع بقوة الحياء ولهذا يقال فلان يستحي في هذا الحال أن يفعل كذا، ولا يقال يخجل أن يفعله في هذه الحال لان هيئته لا تتغير منه قبل أن يفعله فالخجل مما كان والحياء مما يكون، وقد يستعمل الحياء موضع الخجل توسعا، وقال الانباري: أصل الخجل في اللغة الكسل والتواني وقلة الحركة في طلب الرزق ثم كثر إستعمال العرب له حتى أخرجوه على معنى الانقطاع في الكلام، وفي الحديث: " إذا جعتن وقعتن وإذا شبعتن خجلتن " وقعتن أي ذللتن وخجلتن أي كسلتن.(٥) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، الفروق اللغوية، ت: محمد إبراهيم سليم، ط: القاهرة، دار العلم والثقافة، ص: ٢٤٤.

فوائد مستنبطة من الحديث:

١: التصريح بالعمل بين يدي المعلم الناصح: فلما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بأن يمارسوا الحياء في أمورهم، لم يخفوا ما في أنفسهم ولم يظهروا خلاف ما يختلج في صدورهم ولم يكتموا عملهم من معلمهم، فبينوا ما فهموا وأفصحوا عما أنتجوا، فقالوا: إنا لنستحيي، فمن هديهم هذا، استفدنا أنه ينبغي للمتعلم والمسترشد أن يذكر لمعلمه ولمرشده عملَه الذي اشتغل به وأن يبين له بكيفية امتثاله بما هُدي إليه، فعسى المتعلم والمسترشد يزعم مخطئًا أنه بلغ مبلغه ويستمر فيما فيه من الكيفية غير المطلوبة ولايهتدي إلى سواء السبيل لأجل الإخفاء والكتمان.

٢: الشكر لله على التوفيق للعمل الصالح: أتبعوا بيان عمل الخير بالشكر لله والثناء عليه، فقالوا: إنا لنستحيي والحمد لله، فالعمل الصالح يقتضي ذلك حيث وفق الله العبد إلى ما فيه الخير والصلاح فيجب أن ينسب عمله إلى توفيق الله إياه له

لأن لا يقع في الإعجاب فيحبط عمله ويضيع ثوابه، فلاحول ولاقوة إلا بالله.

٣: بيان الحياء الكامل: قد ذُكر فيما سبق نوعان للحياء: النفساني والإيماني، فالحياء النفساني من مقتضيات الفطرة الإنسانية التي فطر الله آدم وبنيه عليها، فآدم وحواء، عليهما السلام، لما حدث بهما ما حدث إثر الأكل من الشجرة الممنوعة، فزعا وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة مع أنه لم يكن ثمة أحد من بني آدم يُخاف كشفُ العورة عليه، وليس ذلك إلا لأجل ذلك الحياء النفساني المجبول عليه الإنسان منذ أول نشأته، وهذا النوع من الحياء يعم أصحاب الطبائع السليمة من بني آدم كلهم ولا فرق في ذلك بين دين وآخر، فكل من لم تتسخ فطرته يخلو بنفسه ويختفي عند كشف العورة والجماع وأمثال ذلك من هنات الأفعال التي يوتى بها وراء الستر مخفيًا عن أعين الناس، فلعل الصحابة، لما أجابوا بأنهم يستحيون، أرادوا هذا النوع من الحياء، الذي أودعه الله في الأمزجة السليمة وهدى العقول الصالحة إلى استحسانه، فأرشدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن ربهم سبحانه وتعالى يأمرهم بأن لايقتصروا على ذلك فحسب، وأن يتخلقوا بالحياء الكامل وأن يقوموا بأداء حق الحياء، فذكر النبي صلى الله عليه وسلم أربع كلمات: كلمتين جامعتين لبيان الركنين للحياء الكامل وكلمة ثالثة فيها بيان عمل مُعِين للتخلق بالحياء وكلمة رابعة فيها ذكر علامة ذلك العمل المُعِين، وإليك شرح هذا الإجمال:

ألف: حفظ الرأس وما وعى: فالركن الأول لكمال للحياء حفظ العبد رأسه وتطهير ما وعاه الرأس من كل ما يُلوِّثُه من الأفكار الرديئة والأعمال الفاسدة التي تخالف وتضاد مرضاة الله سبحانه وتعالى، ويشمل قوله: ما وعى الرأس: الفكر والعقيدة والعين والسمع والأذن واللسان فالرأس يحوي كل ذلك، فعلى العبد:

- تطهير الرأس من التلوث بالشرك والكفر.
- وحفظه من السجود لغير الله شركًا أو رياءً.
- وصونه من الانحناء بين يدي الظالم وظلمه.
- ووقايته من رفعه تكبّرًا وترفّعًا عند عرض الحق وبين يدي أهل الحق.
- وحفظ العين من الاستشراف إلى المحرّم.
- وحفظ الأذن من التلذذ بسماع الأغنية والملاهي.
- وحفظ اللسان من الفحش والبذاء والكذب والنميمة والبهتان وغيرها من زلاته وسقطاته.

ب: حفظ البطن وما حوى: هذا هو الركن الثاني لكمال الحياء، ألا وهو حفظ البطن وحفظ ما حواه البطن وما يتصل به من القلب، واليدين، والرجلين، والفرج، فهي الجوارح التي تتصل بالبطن ويشمل عليها البطن من جوانبه، فعلى العبد:

- تطييب مأكله ومشربه، والاتقاء من أن يقع في البطن شيء قليل من الأشياء المحرمة أو لقمة يسيرة مكتسبة من المال الحرام.
- وحفظ القلب من الميل إلى الباطل ومن حبّ غير الله حبًّا يؤدي به إلى البخس فيما يجب عليه من حقوق الله سبحانه وتعالى.
- وحفظ اليدين من إيذاء خلق الله ومن أخذ أنواع من الأموال المحرمة.
- وحفظ الرجلين من التطرّق إلى سبل المعاصي والمآثم والذنوب.
- وحفظ الفرج من الوقوع في المحرم.

ج: التذكر بالموت والبلى: هذا هو العمل المُعين الذي ينفع المرء في القيام بحفظ الرأس وما وعى وبحفظ البطن وماحوى، وهو أن لا ينسى المرء أن حبل هذه الحياة يكاد ينقطع، وأن جسمه سيصير خَلقًا وتنتشر أجزاؤه متفتّتةً، وأن عظامه ستؤول باليةً وتنقلب ترابًا وسيكون بعد أن كان كأن لم يكن شيئًا مذكورًا فيما سبق، فهذا التذكر يعينه ويحرضه على الإتيان بالأعمال الصالحة والادخار بالحسنات الطيبة ليوم لاينفع فيه مال ولابنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

ج: ترك الدنيا وزيتها: وهي العلامة التي تنبئ عن امتلاء قلب المرء بفكر يوم الحساب، وهي نتيجة تذكر الموت والبلى تذكرًا هادفًا ومطلوبًا، فكل من يذكر الموت ومآله وأن هذه الحياة ليست إلا مقدمة تنتهي يومًا ما غير مسبوق ببيان الأمد والغاية، لايميل إلى المزخرفات الدنيوية ويتورع من التزين بزينتها الخادعة ويتوجه إلى التزود للسفر الذي يبتدئ إثر نزع عزرائيل روحه من جسده توجهًا تامًا.

فمن أتى بهذه الأعمال الأربعة فقد بلغ الغاية وأدرك الهدف وهو الذي يستحق أن يدّعي بأنه يستحيي من الله تعالى حق الحياء.

هذا، وصلى الله وسلم على سيد المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

١-والروايات في كل واحد من هذه النكت في الترغيب والترهيب للإمام المنذري، نقلًا من الكتب الصحاح الستة وغيرها، ولياجع من شاء نصوص الأحاديث مجتمعةً إلى كتاب الأدب (الترغيب في الحياء وما جاء في فضله والترهيب من الفحش والبذاء) من الترغيب والترهيب.

٢-ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث، ت: طاهر أحمد، محمود محمد الطناحي، ط: بيروت، دار إحياء التراث، ج: ١، ص: ٤٧٠

٣-الفيروزآبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، ط: مصر، الهيئة المصرية العامة، سنة: ١٩٨٠م، فصل الحاء، باب الواو والياء، ج: ٤، ص: ٣١٦.

إنّه شهر القرآن الكريم

خطبة الحرمين الشريفين

الحمد لله الحليم الرحيم، ذي المنة والفضل العميم، له الحمدُ – سبحانه – حتى يرضى، وله الحمد إذا رضي، وله الحمد بعد الرضا، وله الحمد على كل حال، وأشهد أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُ الله ورسوله، وخليلُه وخِيرتُه من خلقه، خيرُ من صلى الله وصام، وأفضلُ من تلا كتابَ ربه وقام، بلَّغ الرسالةَ، ونصحَ الأمَّة، وجاهدَ في الله حقَّ جهاده، فصلواتُ الله وسلامُه عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه الغرِّ الميامين، وعلى من سار على طريقهم واتبع هُداهم إلى يوم الدين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فأُوصيكم – أيها الناس – بوصية الله للأولين والآخرين في مُحكَم التنزيل: ﴿ **وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ** ﴾ [النساء: ١٣١].

أيها المسلمون: هذه هو شهر البركات والرحمات الذي تتجلَّى فيه النفوسُ الصافية، وتصعدُ فيه الهِمَم الندِيَّة إلى معالي الإيمان والمعرفة بالله – سبحانه –. شهرٌ تضيقُ فيه منافذُ الشياطين، فتصفُو عبادةُ المرءِ لربه، ﴿ ويلَذُّ الأُنسُ بكتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]. إنه شهر القرآن الكريم، شهرُ الانكسار والمُناجاة، شهرُ التدبُّر والاعتبار والخشية؛ لأن المرءَ بلا قرآن كالحياة بلا ماءٍ ولا هواءٍ، وهو بمثابة الروح للحياة، والنور للهداية. خيرُ جليسٍ لا يُملُّ حديثُه، وتَردادُه يزدادُ به المرءُ تجمُّلًا وبهاءً. هو الكتابُ الذي من قام يقرأه كأنما خاطبَ الرحمن بالكلِم، ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦]. دخل أبو جهلٍ على الوليد بن المُغيرة يُحرِّضه على النبي – صلى الله عليه وسلم – وعلى ما جاء به من القرآن، فقال أبو جهل للوليد: قُل فيه قولًا يبلغُ قومَك أنك كارهٌ له. قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكُم رجلٌ أعلمُ بالأشعار مني، ولا أعلمُ برجَزه ولا بقصيدته مني، ولا بأشعار الجنِّ، والله ما يُشبه الذي يقول شيئًا من هذا، ووالله إن لقولِه الذي يقول حلاوةً، وإن عليه لطلاوةً، وإنه لمُثمِرٌ أعلاه، مُغدِقٌ أسفلُه، وإنه ليعلو وما يُعلَى، وإنه ليحطِمُ ما تحته.

نعم – عباد الله –؛ هذا هو القرآن الذي أدهشَ العقول، وأبكَى العيون، وأخذ بالألباب والأفئدة، وطأطأت له رؤوسُ الكُفر، ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٣]. أخرج البخاري ومسلم في "صحيحيهما"

أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – انطلقَ في طائفةٍ من أصحابه عامدين إلى سوق عُكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأُرسِلَت عليهم الشُّهُب، فرجعت الشياطين فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حِيل بيننا وبين خبر السماء. قال: ما حالَ بينكم وبين خبر السماء إلا شيءٌ حدث، فاضرِبوا مشارقَ الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث؟ فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حالَ بينهم وبين خبر السماء. قال: فانطلق الذين توجَّهوا نحو تِهامة إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بنخلة وهو عامِدٌ إلى سوق عُكاظ وهو يُصلِّي بأصحابه صلاةَ الفجر، فلما سمِعوا القرآنَ تسمَّعوا له، فقالوا: هذا الذي حالَ بينكم وبين خبر السماء. فهُنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: ﴿ يا قومنا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ [الجن: ١، ٢]. هذا هو حالُ الناس مع كتاب ربهم – إنسِهم وجنِّهم، مُؤمنهم وكافِرهم –، ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩]. إنه ليس شيءٌ أنفعَ للعبد في معاشه ومعاده وأقربَ إلى نجاته وسادته في الدارَين من تلاوة كتاب ربِّه آناء الليل وأطراف النهار، وتدبُّره وإطالة النظر فيه، وجمع الفِكر على معاني آياته؛ فإن ذلكم يُطلِعُ العبدَ على جوامع الخير والشر وعلى حال أهلها، ويُريه صورةَ الدنيا في قلبه، ويُحضِرُه بين الأمم السالفة، ويُريه أيام الله فيهم والمُثُلات التي حلَّت بهم أو قريبًا من دارهم.

فيرى المُتدبِّرُ غرقَ قوم نوح، ويعِي أثرَ صاعقة عادٍ وثمود، ويعرفُ غرقَ فرعون وسخف هامان، ويستوعِبُ ماهيَّة طريق الشر وعاقبة أهله، وماهيَّة طريق الخير ومآل أهله، ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩]. لقد جعل الله هذا الكتابَ فُرقانًا بين الحق والباطل، من طلبَ الهُدى منه أعزَّه الله، ومن ابتغَى الهُدى من غيره أذلَّه الله. لقِيَ عمرُ الفاروق – رضي الله عنه – نافعَ بن عبد الحارث بعُسفان – وكان عمرُ يستعمِلُه على مكة –، فقال: من استعملتَ على أهل الوادي؟ فقال: ابنَ أبزى. قال: ومن ابنُ أبزى؟ قال: مولًى من موالينا. قال عُمر: فاستخلفتَ عليهم مولًى؟! قال: إنه قارئٌ لكتاب الله – عز وجل –، وإنه عالمٌ بالفرائض. قال عُمر: أما إن نبيَّكم قد قال: «إن الله يرفعُ بهذا الكتاب أقوامًا ويضعُ به آخرين»؛ رواه مسلم.

إنه النورُ الذي لا تُطفَأُ مصابيحُه، والمنهاجُ الذي لا يضِلُّ ناهِجُه، هو معدِنُ الإيمان، وينبوعُ العلم، ومائدةُ العُلماء، وربيعُ القلوب، ودستورُ الحياة برُمَّتها، والشفاءُ الذي ليس بعده داء، ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٤]. كتابٌ محفوظٌ بحفظ الله له، لا يُغيِّره تحريفُ المُحرِّفين، ولا تأويلُ المُبطِلين، ولا عِنادُ النكِصين، يعلُو ولا يُعلَى عليه، ويودُّ أهلُ الباطل لو غسَلوا آياته وأحكامَه بماء البحر ليُمحَى أثره عن الوجود، ولكن الله غالبٌ على أمره، وهو القائلُ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]. قال يحيى بنُ أكثم: كان للمأمون – وهو أميرٌ إذ ذاك – مجلسُ نظر، فدخل في جُملة الناس رجلٌ يهودي. قال: "فتكلَّم فأحسن الكلام والعبارة. قال: "فلما أن تقوَّضَ المجلس دعاه المأمون، فقال له: إسرائيليٌّ؟ قال: نعم. قال له: أسلِم حتى أفعل بك وأصنع. ووعده فانصرف. فلما كان بعد سنةٍ جاء مُسلِمًا فدعاه المأمون وقال: ألستَ صاحبَنا بالأمس؟ قال: بلى. قال: فما سببُ إسلام؟ قال: انصرفتُ من حضرتك فأحببتُ أن أمتحِنَ هذه الأديان، وأنا مع ما تراني حسنُ الخط، فعمدتُ إلى التوراة فكتبتُ ثلاثَ نُسخٍ فزِدتُّ فيها ونقصتُ، وأدخلتُها الكنيسة، فاشتُرِيَت مني. وعمدتُ إلى الإنجيل فكتبتُ ثلاثَ نُسخٍ فزِدتُ فيها ونقصتُ، وأدخلتُها البَيعة، فشتُرِيَت مني. وعمدتُ إلى القرآن فعملتُ ثلاثَ نُسخٍ وزِدتُ فيها ونقصتُ، وأدخلُها إلى الورَّاقين، فتصفَّحوها، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رمَوا بها فلم يشتَروها. فعلِمتُ أن هذا كتابٌ محفوظ، فكان سببَ إسلامي. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢]. هذا هو كتابُ الله الكريم الذي نزل ب الروح الأمين؛ فما نحن صانِعون فيه؟! أيكون رائِدَنا ودستورَنا في حلِّنا وترحالنا، وغضبنا ورضانا، ومنشطنا ومكرهنا؟! أم أنه سيكون ضيفًا على الرفوف لا يلحقُه البرُّ إلا في رمضان؟! أنعتصِمُ به ونعَضُّ على أنواره بالنواجِذ أم نكون كالعِيسِ في البيداء يقتُلها الظمَأ والماءُ فوق ظهورها محمول؟! أم تكون أسماعُنا كالأقماع فتدخل الآياتُ مع اليُمنى وتخرجُ مع اليُسرى. أخرج مسلم في "صحيحه" أن الله قال لنبيه – صلى الله عليه وسلم –: «إنما بعثتُك لأبتليك وأبتلِي بك، وأنزلتُ عليك كتابًا لا يغسله الماء، تقرأه نائمًا ويقظان». قال الحسن البصري – رحمه الله –: "إن هذا القرآن قد قرأه عبيدٌ وصبيان لا علمَ لهم بتأويله، وما تدبُّر آياته إلا باتباعه، وما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: لقد قرأتُ القرآن كلَّه فما أسقطتُ منه حرفًا، وقد والله أسقطَه كلَّه، ما يُرى له في خُلق ولا عمل، حتى إن أحدهم ليقول: إني لأقرأُ السورةَ في نفسٍ واحدٍ، والله ما هؤلاء بالقُرَّاء ولا بالعلماء ولا الحكماء ولا الورِعة".

ألا فاتقوا الله – عباد الله –، وأرُوا الله من أنفسكم في هذا الشهر المبارك قُربًا من كتابه تلاوةً وتدبُّرًا وعملًا وهدايةً، ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر: ٣٢].

باركَ الله ولكم في القرآن العظيم، ونفعَني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيم، قد قلتُ ما قلتُ، إن صوابًا فمن الله، وإن خطأً فمن نفسي والشيطان، وأستغفرُ الله إنه كان غفَّارًا.

تحدّيات العصر الجديد وردودها

أ.ضياء حسين الولي

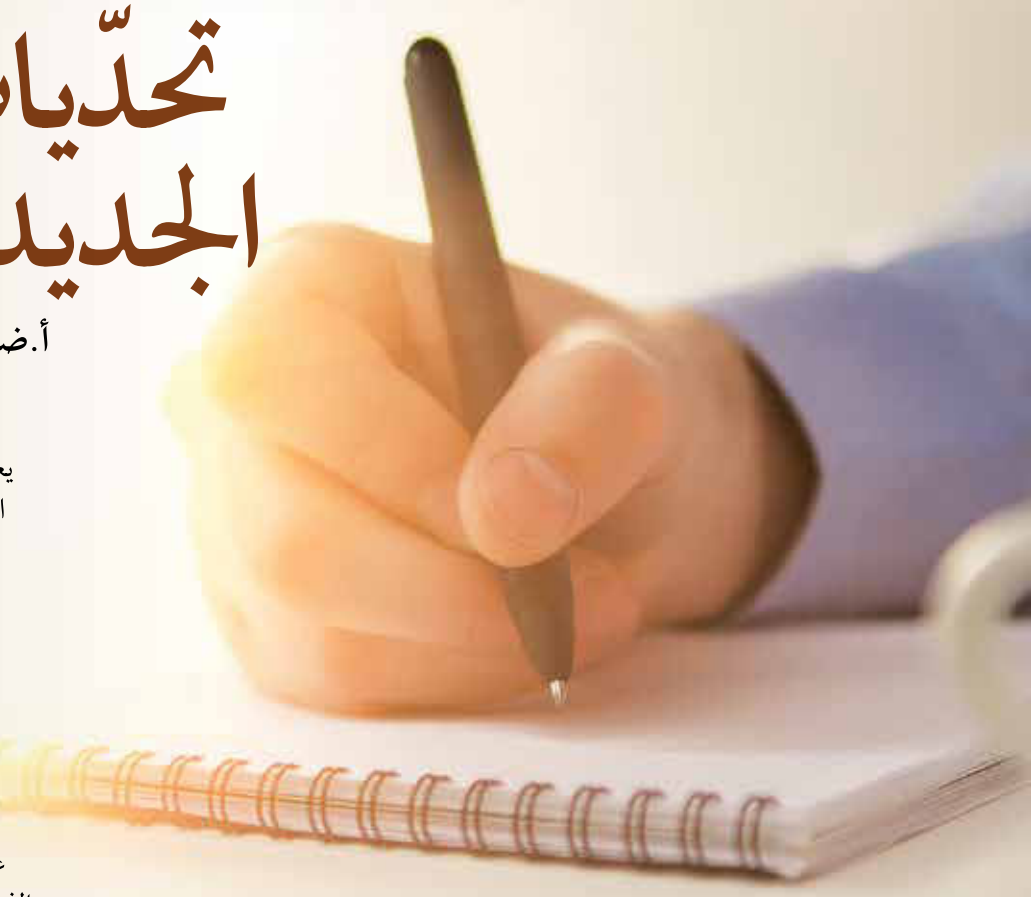

نظرا لمكانة السيّد أبي الحسن الندوي – يرحمه الله – الأدبيّة والعلميّة، عزم أ.ضياء حسين الولي على ترجمة كتاب "پاجا سراغ زندگی" وهوعبارة عن خطب ومقالات دينيّة تربويّة، وستكون بشكل سلسلة يتحف بها المجلّة، إن شاء الله تعالى.

الحلقة الخامسة والعشرون:

إنّ الفتن في التاريخ كثيرة المناحي ومعددة الأشكال، فأكبر فتنة ظهرت في القرن الماضي هي ظهور فتنة الدين الأكبري في الهند، وظهورها أمرغريب، لأنّها لم يكن يملك أصحابها هذه المراكز التعليمية لإشعالها؟ ولا ما كانت عندهم هذه الجرائد الكثيرة التي تطبع كلّ يوم بعدد هائل وتنشر الأخبار بشكل كبير؟ ولا ما كانوا يقتنون هذه الاختراعات الجديدة، التي ترسل أنباء الشرق إلى أقصى الغرب في لمحات يسيرة، ولكن الملك جلال الدين الأكبر كان يحمل في صحبته وزيرين كبيرين أبي الفضل الفيضي وأبي الفيض الفيضي المتوقدين ذكاءا وفطنة،وأنا لاأذكر ذكائهما للتمدح والثناء بل تحت تأثير الرعب والانفعال، فقاما بمفردهما بالعجيب بإبداع الدين الجديد، وعملا ما تقوم بها المؤسسات الكبيرة والهيئات الضخمة، ولانشكّ أيضا في عاطفتهما الدينية لخدمة الإسلام التي تتنشط في قلوبهما من حين لآخر، فخرج من بطن هذه العاطفة تفسير القرآن الكريم الرائع باسم "سواطع الإلهام". ونجد كثيرا من شاكلتهم في الذكاء والفطة في زماننا يعملون ويكدّون، ولكنهم يفتقدون الحماسة الدينية الإسلامية التي يملكها متجدّدوا الفكر ومنيّروا الخيال في القديم .

أعزائي! سير الإلحاد والفساد لم يقف، ولكنه غيّر الطريق والأسلوب، فالفلسفة اليونانية وعلم الكلام المتداول كانا مصدرين معتبرين للإلحاد والفساد، فَقَدا سيطرتهما النافذة على العقول، وعلم الحديث المعاصر الذي أقلق علماء القرن التاسع عشر، نفد طاقته التي كان يملكها في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين لتعميم الإلحاد في الناس والتشكيك في العقيدة والقدح في الإسلام، وعلى العكس تغيّر أحوال بعض علماء علم الحديث المعاصر أكسب دلائل ثبوتية للحقائق الثابتة في الكون، لكن علوم الاقتصاديات والسياسيات والتاريخيات والأدبيات أخذت مأخذها في نشر الإلحاد والتشكيك والزندقة، وأخذت العلوم العمرانية وأدبيات اللغة الإنكليزية تبث التقزز من الدين وتفرض الانتشار في الذهن، وما يبعث عليك العجب ويجلب الحيرة هو أنّ الجامعات التي تهتم بالعربية والأردية أصبحت وكرا للإلحاد والتشكيك، ولعلّ في دراسات بعض الجامعات العربية والإسلامية أضعف مادة هي مادة دراسة الإسلام، إذن ينبغي أن نعرف حقيقة الأمر في أرض الواقع، وما يحمله العمل من الاستعداد والتجهيز في الدعوة الإسلامية ، وما يفرضه من معرفة التسليح وعمليات الحرب وطرقها، ولابدّ أن نأخذ الأمور بالنظر الدقيق والقلب الواعي والإدراك الحقيقي. ولا شكّ أنّه من فضل الله تعالى ومنّه حيث انتخبكم للعمل الدعوي العظيم، ما يستحق التبريك والتهنئة، وما يدعوكم إلى التفكير والتحسين والتعاون، وحيث حمّلك الواجب الدعوي الذي زاوله السلف الصالح في زمانهم بالرد على البدعات والتحريفات والقيام ضد الفتن والضلالات، فالآن دوركم في خدمة الدين، فتحمّل المسؤولية واقبل الواجب واعرف الخطر وصعوبة الموقف ثمّ استعن بالله بالردّ على

التحدّيات الآتية والنظريات الهدّامة التي تقوم بانفصال الدين والمذهب عن الحياة، وفي الحقيقة هذه نظرية الأوربّيين حيث يقومون بانفصال الدين عن الحياة قائلين أن الدين أمر ذاتي محض، وفي بادئ النظر هذه النظرية تخالف الأنظمة العولمية والحضارات العالمية والمجتمعات الحرة فضلا عن تنفيذها في الهند، وفي صورة التطبيق تظهر للإسلام صورة مشوهة مطموسة في الهند لاتمثل الإسلام الحقيقي، كما ذكرها الشاعر الفيلسوف محمد إقبال-رحمه الله- قبل نصف قرن، -هذه ترجمته-: "لمّا أذن للمولوي بالعبادة في أرض الهند، اقتنع وظنّ أنّ الإسلام حرّ كريم فيها، وهذا من أفعال العجزة الكسالى"

وبالمناسبة إذا عزم المتخرّجون من جامعة دارالعلوم بديوبند على تغيير الجو وحالفهم التقديرعلى ذلك، لتغيّر هذا الجو القاتم بيسر كبير، لأنّ لهم شعبية كبيرة في الناس، قلّما تجدها الجماعة الإسلامية في الهند، إضافة إلى إحكام نشر شبكة المدارس في أنحاء الهند، فضلا عن احترام الناس وثقتهم بشكل كبير لمتخرّجيها في المساجد والقرى، ولكن إنجاز هذه المهمة تحتاج إلى صفة الشجاعة العملاقة وقوة اليقين الإلهي، كما يقول الشاعر الحقيقي في تصوير هذه الصورة، " مهما اشتدت الرياح والعواصف فإن الذي يشعل قنديله مضيئا ذلك الدرويش الذي يملك صفات القيادة والشجاعة" فهذه الأجواء القاتمة تقتضي أن نعدّ لمناضلتها من شتى الجوانب والمجالات، المجال النفسي والمجال العلمي والمجال الإخلاقي والمجال الروحي، كما تقتضي معرفة الخلفيات للفتن الحاضرة والفلسفات المعاصرة وعوامل ارتقاءها معرفة دقيقة، وكما تقتضي أن نعرف العدوّ وطاقاته ومقاصده، وهذه من الشروط الأساسية للمناضلة، ومن ناحية أخرى لابدّ أن نبقى على آرائنا ومعتقداتنا متصلّبين، متحجرين حتّى لا يحلم أحد شراء الضمير والعقيدة والحميّة الدينية، وإن كان النظام التعليمي الجديد المعاصر يعلّم أصحابه مهارة بيع الصناعات والمهارات، ولكن نظامنا التعليمي يصرخ قائلا:(هذه ترجمته) ساومَت نفسك بثمن بخس، وكان قيمتها أغلى وأثمن، فزد في قيمة نفسك ولاتحقّرها.

وبيع الضمير في عصرنا شائع عام، وكم من أناس أصحاب القلم والبيان، يملكون ذكاءا حدّا وقراءة واسعة حيث لا نعدّ أنفسنا بشيء بالمقارنة إليهم بكثرة قراءاتهم، لكنّهم لايحملون ضمير الملامة، وكأنّ لديهم موقع القلب دماغ إضافي إلى دماغهم الذاتي، فلايخافون حساب الآخرة ولا تأنيب الضمير ولا فضاحة النفس،يدورون مع الدائر،ويكتبون ما يملي عليهم الزمان، غايتهم في منتهى الأمر مصالحهم ومطالبهم ومرافقهم.

أنتم ستتخرّجون مدرّسين للطلاب، وشارحين للكتب، وخطباء للناس ومصنّفين للشعب، هي أعمال مباركة تستحق التبريك والتهنئة، وأنا بدوري مؤلف كتب، ولكن الوقت يقتضي أكثر وأعظم وأكبر من ذلك، يقتضي منكم ظهور شخصيّة انصهرت فيها صفات القيادة والثقافية والروحانية والإخلاقية، وعدم ظهور هذه الشخصية بهذه المواصفات يؤدّي إلى خطر للمسلمين في الهند، وقد نرى بداياته في هذه الأيام حيث أخذت الأرض تنسحب من تحت الأقدام وتضيق عليهم الدائرة، كما يصوّره القرآن بأحسن تصوير، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ الرعد: ٤١ ﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ التوبة: ١١٨ فنحن اليوم واقفون على أرض لاتوصف بصخرية صلبة ولامسطّحة سهلة، وإنّما هي رملة مجمّعة تنشره الرياح العاتية من الأطراف، وما زالت تنقطع من تحت الأقدام، يعبّر عنه القرآن: ﴿كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ ﴾ المزمل: ١٤

أحبائي! نتعلم قبل أن يعلّمنا الزمان بالكارثة، ونفتح أعيننا للإقبال على المستقبل قبل أن تفتحها الحقائق الواقعية، هذا وينبغي أن نكون على دراية تامّة ما نحن المسلمين فيه هذه الأيام من إحباط ونكوس، هبطنا من العلياء إلى السطح، وعلى هذا نجد الفرق واضحا بين العهد الذي عاشه الشيخ مولانا محمد على المونكيري والشيخ مولانا شبلي -رحمهما الله تعالى-. وكلّ هذا يدعوكم إلى الاستعداد التامّ للمستقبل الآتي وإلى تعمير العقول والأذهان تحت إشراف الأساتذة الكرام، لاتنظروا إلى هيئتكم الظاهرية والجسد الخارجي، فإنكم في الحقيقة داعين مخلصين ومصلحين عظماء، ولعلّ أساتذتكم وأصدقائكم وأنتم تجهلون هذه الرموز المخفية في داخلكم، وأنا جئتكم للإظهار والإعلام والإخبار، علّني أوقظ بهذا النداء النائمين وأنبه الغافلين، وأعرّف الجاهلين، وأخاطبكم كما خاطب الشاعرمحمد إقبال هلال العيد وقال هذه ترجمته: ركّز جهودك وتوجيهاتك إلى نفسك لتطويرها، فإنّك تحمل في داخلك بدرا كاملا، ولاتحزن على نزول المشاكل والمصائب.

أيا صوفيا عبر التاريخ

د.محمد ذيشان خان

إنّ تحويل آيا صوفيا من متحف إلى مسجد فتح الباب أمام العديد من النقاشات والاعتراضات في جميع العالم كما كان متوقعا، و تسبّب ذلك القرار في تخبط عواطف وآراء البعض.

ليس من المستغرب أنّ الغرب الثائر على إعلان آيا صوفيا مسجداً، وكأنّها كانت كنيسة قبل أيام وتحوّلت إلى مسجد اليوم، أن يتّهموا المسلمين بالتعصّب واضطهاد المسيحيين. رغم أننا اعتدنا أن يكون المسلمون هم ضحية الحروب في الشرق الأوسط بأسلحة الغربيين وتدخلاتهم ومؤامراتهم، وفي الوقت ذاته يتمّ إلصاق صفات "الإرهاب" و"التعصّب والكراهية" بالمسلمين كذلك. وبالتالي لا يمكن أن نتوقّع من هذا الغرب الذي لا يتوقف عن مناقضة نفسه أن يصدر عنه موقف آخر مماثل حول آيا صوفيا.

و لكن لماذا أثار تحويل آيا صوفيا إلى مسجد كل هذا الجدل والانقسام؟ فلا بدّ أن نتعرّف على أهمّ ملامحها بتصفّح أوراق التاريخ.

في عام ٥٣٢م أمر الإمبراطور البيزنطي، جستنيان الأول، ببناء الكنيسة في القسطنطينية (إسطنبول حالياً) على أنقاض أخرى تعرضت للبناء والهدم أكثر من مرة. واستغرق بناء كاتدرائية آيا صوفيا -والتي تعني "الحكمة الإلهية" باللغة اليونانية- خمس سنوات.

وأراد جستنيان الأول من خلالها أن يُثبت تفوقه على أسلافه الرومان بتشييد صرح معماري غير مسبوق.

وبعد اكتمال البناء، ذكر المؤرّخون أنّه من شدّة إعجاب الإمبراطور بالكاتدرائية قال لحظة دخوله إليها: "يا سليمان لقد تفوقت عليك" في إشارة إلى النبي سليمان- عليه الصلاة و السلام- الذي كان يسخر الجن لإقامة الأبنية العظيمة.

بُنيت الكاتدرائية على شكل قبّة مركزية كبيرة ونصف دوائر تحيط بصحن الكنيسة. وتعدّ هذه القبة من أبرز معالم البناء، إذ أراد المعماريون أن تكون أوسع وأكثر ارتفاعاً وإبهاراً من أي قبة بُنيت من قبل. إلا أنّ القبة الأصلية انهارت نتيجة لزلزال عام ٥٥٨ م، قبل أن يُعاد بناؤها وتُدعم بأربعين عموداً.

واستغلّ الإمبراطور جميع الإمكانيات لزخرفة المبنى وتزيينه، واستُخدم الرخام بمختلف ألوانه بعدما جُلب من مناطق عدة، كما زُينت الجدران الداخلية بفسيفساء من الذهب والفضة والزجاج والقرميد وأجزاء من الحجارة الملوّنة. ظلّت آيا صوفيا أضخم كاتدرائية مسيحيّة في العالم حتى بناء كاتدرائية إشبيلية عام ١٥٢٠ م، ووُصفت بجوهرة العمارة البيزنطية وعُدت واحدة من أبرز المعالم التاريخية حول العالم على الإطلاق.

بعد سقوط القسطنطينية في أيدي العثمانيين في أواخر مايو/ أيار١٤٥٣ م حُولت الكنيسة إلى مسجد، فأدّى به السلطان محمد الثاني (المعروف باسم محمد الفاتح) أوّل صلاة

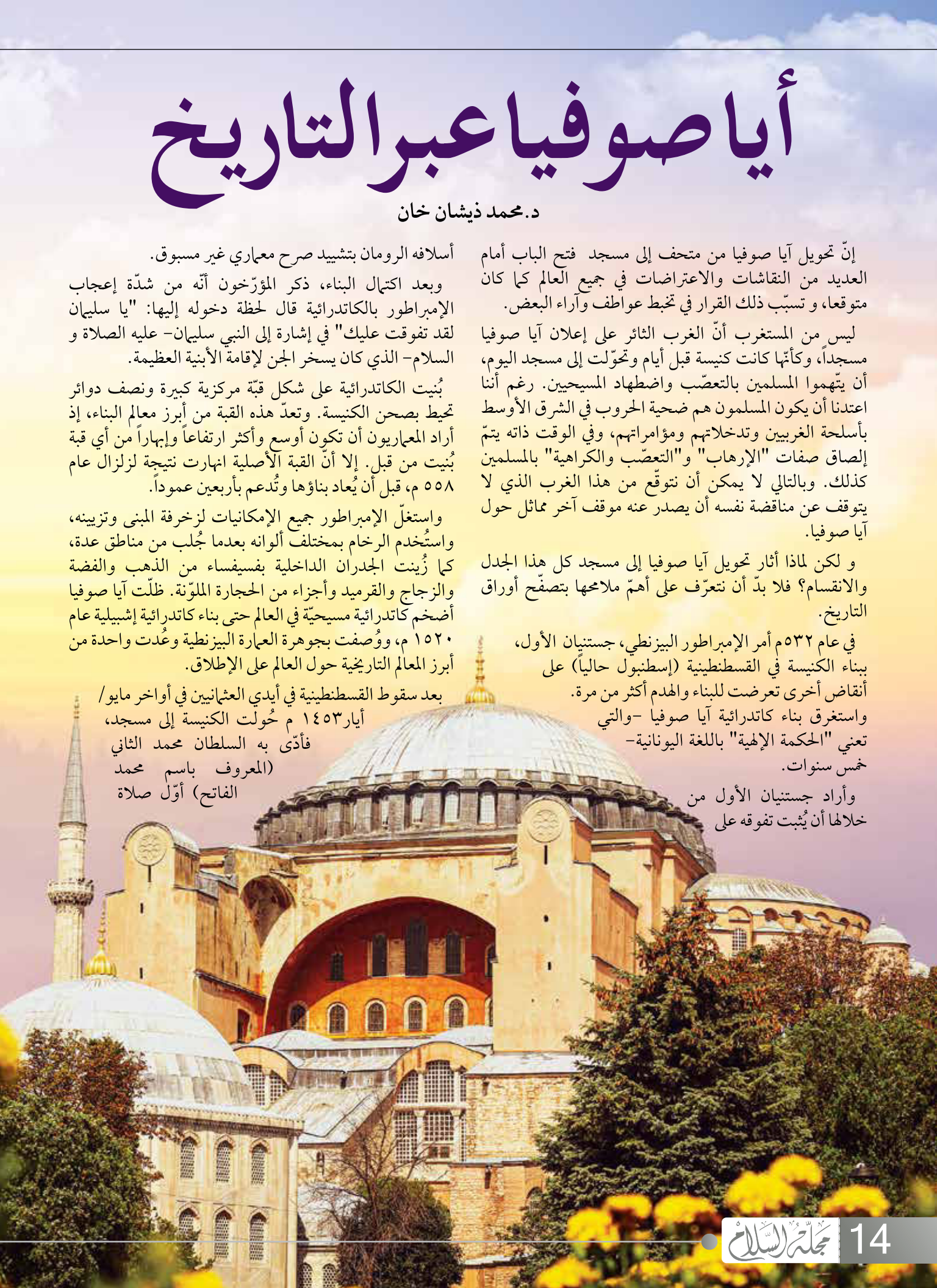

جمعة بعد دخوله المدينة وكان ذلك في الفاتح من يونيو/ حزيران من العام ذاته، مُصدرا أوامر بتغطية الرسوم والنقوش المسيحية.

ظلّ "آيا صوفيا" مركزا إسلاميا يحظى برمزية كبيرة، مُرتبطا في الأذهان بـ" فتح القسطنطينية" إلى أن منع مصطفى كمال أتاتورك، مؤسّس تركيا الحديثة ورئيس الجمهورية آنذاك، إقامة الشعائر الدينيّة في المسجد عام ١٩٣١ م قبل صدور مرسوم حكومي عام ١٩٣٤ م. بتحويله إلى متحف فني بهدف "إهدائه إلى الإنسانية".

٢٤ يوليو ٢٠٢٠م قرار القضاء التركي بإلغاء قرار مجلس الوزراء الصادر عام ١٩٣٤ م، الذي قضى بتحويل "آيا صوفيا" في مدينة إسطنبول من مسجد إلى متحف؛ ألقى الرئيس التركي رجب طيب أردوغان خطابا تاريخيا استعرض فيه تاريخ إسطنبول وآيا صوفيا، وقال: لا شك إنه من حق تركيا تحويل "آيا صوفيا" إلى مسجد بشكل يوافق ما جاء في سند الوقف (الوقفية)، وعرض سند وقفية السلطان محمد الفاتح، مؤكّدا أنّ "كل ما تضمّه هذه الوقفية أساسٌ لنا"، ولفت النظر إلى أن هناك أكثر من ٤٥٣ كنيسة في تركيا.

وقال أيضا : "في الواقع لم يكن هذا القرار الذي تم اتخاذه خلال فترة الحزب الواحد عام ١٩٣٤ خيانة للتاريخ فحسب، بل أيضا ضد القانون؛ لأنّ "آيا صوفيا" ليست ملكا للدولة ولا أي مؤسسة، فهي ملك لوقف السلطان محمد الفاتح، مؤكّدا حقوق تركيا التاريخية والقانونية التي تعود إلى ٥٦٧ سنة.

ويقول السلطان محمد الفاتح، في واحدة من مئات صفحاته الوقفية التي يرجع تاريخها إلى الأول من يونيو/ حزيران ١٤٥٣ م أنّ أيّ شخص يقوم بتغيير هذه الوقفية أو تبديل أحد موادها أو وقف الحكم الخاص بالمسجد "يكون قد ارتكب أكبر أنواع الحرام واقترف إثما.ومن غيّر هذه الوقفية شخصا كان أو جماعة، عليه أو عليهم إلى الأبد لعنة الله والنبي والملائكة والحكام وكل المسلمين أجمعين".

وقال أيضا: لولا أنّ آيا صوفيا ملك السلطان محمد الفاتح، لما كان له الحق في تكريس هذا المكان بشكل قانوني".

و من جدير الذكر هنا، بأنّ روايات متعارضة عن شراء السلطان هذا المعبد من الرهبان.

قد احتجّت الدولة التركية فى تحويل الأثر المسيحى التاريخى إلى مسجد بامتلاكها وثيقة تؤكّد ملكية الكنيسة والأرض التى عليها، بعدما اشتراها السلطان محمد الفاتح. ولكنّ المؤرّخ أحمد بن يوسف القرماني(شهد على عصر محمد الفاتح) ذكر في كتابه " أخبار الدول و آثار الأوّل في التاريخ" أنّ محمد الفاتح أمر بتحويل الكاتدرائية إلى مسجد ولم يشتريها.

ولو سلّمنا أنّ السلطان لم يشتريها فلا يؤثّر على تحويلها إلى المسجد شرعا، لأنّ من المعلوم أنّ المذهب الذي يلتزم به العثمانيون والسلطان محمد الفاتح هو المذهب الحنفي، فحسب المذهب الحنفي: إنّ البلاد التي تفتح عنوة – أي بالحرب– مثل القسطنطينية، فإنّ المسلمين يملكون " كل" ما فيها، و منها الكنائس، و لهذا يجوز للحاكم المسلم أن يحوّل ماشاء من الكنائس هذا البلد إلى مساجد.

وتبعاً لهذه القوانين والأحكام فإنّ محمد الثاني لم يكن يحتاج لشراء آيا صوفيا أو أي مباني القسطنطينية لأنّه تبعاً للمعتاد آنذاك قد فتحها عنوة.

على كل حال لاتقلّ أهمية "آيا صوفيا" عند الأتراك خاصة لاختلاف سبب تحويلها و الشاهد عليه بأنّ " آيا صوفيا" حظيت بمكانة خاصة عند الأدباء والشعراء، قد كتب الشاعر التركي يحيى كمال بياتلي مقالا، قال فيه إن "هذه الدولة لها أساسان معنويان، أوّلها الأذان من مآذن آيا صوفيا وهي مازالت تصدح، والثانية تلاوة القرآن الكريم أمام الخرقة الشريفة (بردة النبي الكريم بقصر طوب قابي في إسطنبول) وهي مازالت تتلألأ".

و كذلك ألفت أشعار كثيرة، كتبها أدباء وشعراء أتراك، تغنوا بآيا صوفيا كأيقونة لفتح إسطنبول، كالكاتب والشاعر والمفكر التركي نجيب فاضل قصاكورك، عندما قال "من تراودهم المخاوف ببقاء الأتراك في هذا الوطن. هم أنفسهم الذين تراودهم الشكوك من إعادة فتح آيا صوفيا للعبادة من جديد".

وكذلك ذكر الكاتب التركي عثمان يوكسل سردنغتشيت، مقالة قد تمت محاكمته وإعدامه بسببها تحت عنوان "آيا صوفيا" قال فيها "آيا صوفيا ! أيها المعبد العظيم، لا تقلق سيحطم أحفاد الفاتح كلّ الأصنام، ويحوّلونك إلى مسجد، ويتوضّأون بدموعهم ويخرّون سجدًا بين جدرانك، وسيصدح التهليل والتكبير ثانية بين قبابك، وسيكون هذا الفتح الثاني، وسيكتب الشعراء عنه الملاحم، وسيصدح الآذان من جديد وأصوات التكبير من تلك المآذن الصامتة اليتيمة، وستتوهج شرفات مآذنك بالأنوار تقديسًا لله وشرف نبيه، حتى أن الناس سيظنون أن الفاتح بعث من جديد. كل هذا سيحدث يا آيا صوفيا، والفتح الثاني سيكون بعثًا بعد موت، هذا أمر أكيد لا تقلق، وهذه الأيام باتت قريبة، ربما غدًا أو أقرب من غد".

وفي الحقيقة إنّ الشعب التركي سواء كان من عامّة الناس أو من السياسيين، أو من الشعراء أو الكتّاب فكل واحد كان يتمنّى إعادة هذا المكان التاريخي إلى حيثيته الأصلية وهو المسجد، ولذا إعادة فتح آيا صوفيا لم تحظَ فقط بدعم حزب العدالة والتنمية وحزب الحركة القومية؛ بل إنّ كل فئات المجتمع التركي رحّبت بهذا القرار بحماس كبير، حتى أنّ حزب الشعب الجمهوري الذي حوَّل آيا صوفيا إلى متحف، لم يُبدِ أي اعتراض يذكر على هذا القرار، ورحّبت به قواعده بروح إيجابية، ما يعني أن أغلبية ساحقة من الشعب التركي، ربما تتجاوز ٨٠٪ تدعم هذا القرار.

و لكن في جانب آخر هناك كثير من الدول الغربية وعلى رأسها الأوروبية أبدت ردود فعل رافضة للقرار التركي، لكن أصرّت أنقرة على أحقية قرارها واعتبرته "قرارا حصيفا"، و أثبتت بأنّها ليست عديمة الخيارات محكومة للاتحاد الأوربّي والناتو فقط.

انحِطَاطُ أخلاقِ المُجتَمَع وحَلّه في ضَوءِ القرآنِ والسُّنّة

محمّد داود گل فراز خان السّواتي

أخرج أبُو داوُد، والترمذيُّ من حديث جابر -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله -صلى الله عليه وآله وسلّم-: «ما من شيءٍ أثقَلُ في مِيزانِ العبدِ المُؤمِنِ يَومَ القِيامَةِ من حُسنِ الخُلُقِ». (١)

كلُّ الأمُورِ تزُولُ عَنك وتنقَضِي إلا الثّناءَ فإنّه لك بَاقِ وَلَو أنَّنِي خُيّرتُ كُلَّ فَضِيلة ما اخترتُ غَيرَ مَحَاسِنِ الأخلاقِ (٢)

إنّه غيرُ خافٍ على أحدٍ ذلك الانحِطاطُ الأخلاقيّ والسُّلوكيّ، والسُّقوطُ الحَضَاريّ والثقافيّ، والانسياقُ وراء الشّهواتِ، والغشّ والخِداع والمكر، والملق والنّفاق، والفشلُ في الاتّفاق، والتّراجعُ إلى الوراء في مختلفِ مَناحِي الحياة الفرديّة والاجتماعيّة، والتّخلّف في المبادئ والقِيَم العُليا، وتشويهُ الحقائقِ، ودسّ الأكاذيبِ، والعملُ على كلّ ما يقوّضُ دعائمَ الحياة الفاضِلةِ، بما أدّى -كلُّ ذلك- إلى فسادٍ كبيرٍ وخَرابٍ في المجتمع.

وعليه؛ فإنّك لا تكادُ تجدُ شَخصًا يتعاطفُ مع من يُعامِلُه، ويتفاعلُ مع من هو مَسؤولٌ عنه، ولا يُحِسُّ به، ولا يهتمُّ بمُشكِلاتِه ومُعاناتِه، وهذا هو المُشاهدُ والمَلمُوسُ في حياتِنا وواقِعِنا، والمشاهدةُ على ما أقُوله خيرُ بُرهانٍ!.

والسّببُ في ذلك -كما يراه الكاتبُ- هو عدَمُ التّركيز الكليّ الشّموليّ على الشُّعبة الأخلاقيّة؛ إذ إنّ مُعظمَ أفرادِ المجتَمع لا يُقِيمُون له وزنًا، ولا يُلقُون له بالًا؛ بل يَعُدُّونه أمرًا خارِجيًّا فضوليًّا لا علاقةَ له بالواقعِ أساسًا.

وهذه وتلك إنّما هي خُطُوراتُ ودسائسُ تيّارٍ غربيٍّ يجرِفُ ورآءه كلّ من يقِفُ أمامَه من شَخصٍ إلى شَخصٍ؛ وطَبقةٍ وأخرى؛ فلا يميّزُ بين صغيرٍ وكبيرٍ، وذكرٍ وأنثى إلا وقد أتَى عليهم. وإليه يُشيرُ العلاّمةُ المغربيُّ الكبيرُ بُوخُبزَة في كتابه: ذِكرَياتٍ مع الشّيخ ناصر الدّين الألباني: "إنَّ المُسلِمِين كانُوا -ومَازالُوا- يُعانُون أزمَةَ عقِيدةٍ، وقد أضِيفَتْ إليها أزمةُ أخلاقٍ، وهما أزمتانِ حادِثتانِ خَطِيرتانِ لا تَطِيبُ معهما الحياةُ".

ومن المعلُوم لدى الباحثِين والقُرّاء: "أنّ الحضارةَ المادِّيّةَ الصّرفةَ إذا خَلتْ من التّمدّن والثّقافَة الرّاقيةِ، ومن القِيم المعنويّةِ السّاميةِ، ومن تعالِيمَ تقيمُ أحكامَ الدّينِ وقَواعدَ الأخلاقَ-كانت حضارةً عقِيمةً تُدمّر ما تُعمّر، وتأكُلُ ما تلِدُ، وتهبِطُ بالإنسانِ إلى مَدَارِكِ الحيوانيّةِ بَدلًا من الرُّقِيّ به في مَدارِجِ الإنسانيّة".

ورحم الله القائل:

إذا لم تتّسعْ أخلاقُ قَومٍ ... تضيقُ بهم فسِيحاتُ البِلادِ

إذا ما المَرءُ لم يُخلَق لبِيبًا ... فليس اللّبُّ عن قِدَمِ الوِلادِ (٣)

ولله درّ الشّاعر أمير الشُّعراء أحمد شوقي إذ قال:

إنّما الأممُ الأخلاقُ ما بقِيَتْ فإنْ هُمُ ذَهبَتْ أخلاقُهُم ذهَبُوا

وقال: إذا أُصِيبُ القومُ في أخلاقِهِم فأقِمْ عليهِم مأتمًا وعَويلا (٤)

هذا، ولو هبَطنا على أرضِ الواقِعِ لوجَدنا موقِعَ الأخلاقِ من الشّريعة الإسلاميّة أهمّ وأخطرَ أركانِ الدّينِ الحنيفِ في مُختَلفِ الشّرائعِ على مرّ العُصُور؛ إذ إنّ الإسلامَ لم يَعتَنِ عنايةً كُبرَى كما اعتنَى بالجانبِ الأخلاقيّ وتهذيبِ النُّفُوسِ، وغرسِ القِيمِ والمَبادِئِ، وتَصفِيةِ الحَقائِقِ، وتقويمِ الأنماطِ الخُلُقيّة الخاطِئةِ بصَمتٍ وهُدُوءٍ، وتطويرِ المُجتَمَعِ ثقافِيًّا واجتماعِيًّا واقتصادِيًا في الوقتِ ذاتِه، على أنّه لم يقتَصِر يومًا على الجانبِ التّعليميّ فحَسْب! بل كانت عنايتُه به فوقَ كلّ عناية فقد وصلت عند الرسول -صلى الله عليه وسلّم- إلى أنْ جَعَلَ الخُلُقَ متعلّقَ ومناطَ رسالتِه فقد قال: «إنما بعثتُ لأتمم مكارم الأخلام».(٥) وقد استفاضت توصياتُه -صلى الله عليه وسلّم- في هذا الجانب: حيث قال: «أثقَلُ ما يُوضعُ في ميزانِ المُؤمِنِ تَقوى الله وحُسنُ الخُلق».(٦) حتى جاءه رجلٌ ذاتَ مرّةٍ، ووقَفَ بين يَديهِ، وسأله: ما الدّينُ يا رسول الله فقال: «حسن الخلق». فجاءه من قبل يَمينِه وسأله السّؤالَ نفسَه وكان الجوابُ نفسَ الجواب!.(٧)

وما أشدَّ وقع حُكم الرّسول -صلى الله عليه وسلّم- على المرأة التي قيل له فيها: أنّ فَلانةً تصُومُ النّهارَ، وتقُوم الليلَ، وهي سيّئةُ الخُلقِ، تُؤذِي جِيرانَها بلِسانِها فقال: «لا خيرَ فيها، هي من أهلِ النّار».(٨)وعن عائشةَ -رضي عنها- قالت: سمعتُ رسُولَ اللّهَ -صلى الله عليه وسلّم- يقُول: «إنّ المُؤمِنَ لَيُدرِكُ بحُسنِ خُلقِه درَجَةَ الصّائمِ القَائِم».(٩) وعن جابرٍ -رضي الله عنه- أنّ رسُولَ الله -صلى الله عليه وسلّم- قال: «إنّ من أحبّكُم إليّ، وأقربِكُم منّي مَجلِسًا يومَ القِيامَةِ أحاسِنكُم أخلاقًا».(١٠) وعن عَمرو بنِ عَبسةَ قال: قلتُ يا رسُولَ الله، ما الإيمانُ؟ قال: «الصّبرُ والسّماحةُ». قلتُ: فأيُّ الإيمانِ أفضل؟ قال: «حُسنُ الخُلق».(١١)

وسنتطرّقُ إلى هذا الجانبِ بشكلٍ تفصيليٍّ ضمنَ عنصرٍ مستقلٍّ من مقالِنا هَذا

■ ميزةٌ فريدةٌ تمتازُ بها الظّاهرةُ الخُلُقيّة دون ما عداها من أُمُورٍ دِينيّة:

وتتجلّى لنا أهميّةُ الجانبِ الأخلاقيّ من خلالِ أنّ لها -للأخلاقِ- سُلوكًا مُستمِرًّا لا ينقطِعُ ولا يتوقّفُ، وهذه الخصِيصَةُ تُميِّزُ الأخلاقَ عن كلّ الواجِباتِ والفُروضِ الدّينيّة؛ فإذا استَعرَضنا أحكامَ العِباداتِ وجدنا الحَجّ أيّامًا مَعدُوداتٍ من عُمُرِ الإنسانِ، والصّومِ المفرُوض هو شهرٌ واحدٌ في رمضانَ من كلّ عام، والصّلواتُ تتكرّرُ خمسَ مرّاتٍ في اليوم واللّيلةِ، أمّا في مجالِ المُعامَلاتِ؛ فإنّ بعضَها يتكرّرُ حُدُوثُه كالبيعِ والشّراء، وبعضُها يقلّ حصُولُه ولا يقَعُ لأغلبِ النّاسِ كالرّهنِ والقَرضِ والوَديعةِ، ثمّ نجدُ من أحكامِ المعامُلاتِ ما يندُرُ وقُوعُه كطَلبِ الشّفعةِ ونفي النّسبِ واللّعانَ والظّهار، ولو وقَعَ شيءٌ من هذه التّصرُّفاتِ لإنسانٍ؛ فإنّه قد يقعُ مرّةً واحدةً أو مرّاتٍ قليلة على امتدادِ حياتِه، أمّا الأخلاقُ؛ فإنّها غيرُ ذلك تمامًا، إنّها ظاهرةٌ مُستمرّةٌ طُولَ حياةِ كُلّ إنسانٍ؛ إذ إنّها قائمةٌ في حال السُّكُون والحركةِ، والرّاحة والعملِ والكلامِ والتّفكيرِ، وحتّى لو استَرخَى الإنسانُ في حُجرةٍ مُظلِمةٍ وأغمضَ عَينَيه؛ فإنّ السُّلوكَ الخُلقيّ لا يتوقّف، ويستمرّ مُتمثّلًا فيما يتفكّرُ فيه وفيما يَجري في داخِله من مشاعرَ خيرةٍ وشريرةٍ من أفكارٍ صالحةٍ أو فاسدةٍ، ومن نوايا حسنةٍ أو خبيثةٍ.(١٢)

واحذَرْ مَساوِيَ أخلاقٍ تُشَانُ بِها وأسْوَأُ السّوءِ سُوءُ الخُلقِ والبَخَلِ

وكم مِن فتًى أزرَى بهِ سوءُ خُلقِه فأصبَحَ مذمُومًا قليلَ المَحامِدِ(١٣)

وبالتالي: فإنّا إذا أردنا أن نُقدّم حُلُولًا رائعةً متميّزةً، ونَماذِجَ وأمثلةً بالغةَ الدّقّة لحُسنِ الخُلقِ؛ فلا مصدرَ لنا من المصادرِ يكفل لنا تقويمَ ذَلكُمُ الجانبِ الأخلاقيّ سِوى القُرآنِ والسُّنّة، وهما مصدَرانِ أساسِيّانِ في إصلاحِ الفردِ والمُجتمَع، وإقناعِ الجَماهِيرِ في أيّ أمرٍ من أُمُورِ الدّين.

ومِمّا لا يكادُ يخفى على كلّ لبيبٍ: أنّ القرآنَ الكريمَ أفضلُ مصدرٍ على الإطلاقِ؛ فبه تقُومُ الحضاراتُ وتتأسّسُ، ولولاهُ لكُنّا في دَياجِيرِ الجَهلِ والظّلامِ نَرتَع ونعِيشُ؛ فهو المعلّمُ والهادِي للإنسانِ والإنسانيّةِ على حدّ سَواء في كلّ العُصُور، بأنّه كتابُ حياةِ الإنسان المُتكامِلة، وقد استطاعَ أن يبُثَّ رُوحَ الطّمأنينةِ والاستقرارِ والتّفاؤُلِ والطُّمُوح، وأن يجتثَّ كُلّ أسبابِ التّخوّفِ من مُستقبَلِ العالَمِ من خلالِ الإيمانِ وتزكيةِ النّفس، وبناءِ الشّخصيّة، "وقد سبق القرآنُ الكريمُ ما قرّرهُ علماءُ الطّبيعةِ والنّفسِ والتّربيةِ فيما يتعلّقُ بالدّورِ المُهمّ، والنّمُوذَجيّ للتّربيةِ الإسلاميّةِ في بناءِ الإنسانِ المُتكامِلِ في شَخصِيّتِه وأفكارِه وسُلُوكِه".(١٤)

ويقُولُ العلّامة المحدث عبد العزيز الطّريفي -فكّ اللهُ أسرَه- "كلّ مكارمِ الأخلاق في القرآن، فقد جمع النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- كمالَ الأخلاقِ كلّها، وقالتْ عائشةُ -رضي الله عنها- «كان خلقه القرآن». والقرآن أخلاقٌ كما أنّه تشريعٌ".

على أنّ القُرآن الكريم فيه الكثيرُ من الآياتِ التي تدلُّ دلالةً واضحةً على الحثّ على الاتّصافِ بمَعالِي الأمُور، والتّرفّع عن سَفاسِفِها، حيث تأمرُ بمكارِمِ الأخلاقِ، وتَدعُو إلى التّمسّكِ بالقِيمِ الخُلقيّة العظِيمَةِ، مثل: الصّبر، وكَظمِ الغيظِ، والإيثارِ، والعَفوِ، وبرّ الوالِدينِ والإحسان إليهما، وحسنِ القولِ، واجتنابِ الكثيرِ من الظّن، وترك التّجسُّس، والغيبة، والنّميمةِ، والشُّحّ، والبُخل، والنّفاقِ، والرّياءِ، والكذبِ، والاحتيالِ، والفخر، والغُرُور، وسائرُها تندرِجُ تحت الشّعبةِ الأخلاقيّة؛ إذِ الخُلُقُ الحَسنُ -بعُمُوم معناه- يشتَمِلُ على كلّ أمرٍ مُستَحسَنٍ في الشّرع والعُرف، وكلّ ما هو مُستَقبَحٌ فيهما، وقد روى التّرمذيّ عن عبدِ الله بنِ المُبارَكِ -رحمهما الله- في تفسيرِ حُسنِ الخُلقِ: قال: هو طلاقةُ الوجهِ، وبذلُ المعرُوفِ، وكفُّ الأذى.

ونقل الحافظ ابنُ رجب الحنبليّ عن بعضِ أهل العلم قوله: حسنُ الخُلق: كظمُ الغيظِ لله، وإظهارُ الطّلاقةِ والبشر إلا للمُبتدِعِ والفاجِرِ، والعفوُ عن الزّالّينَ إلا تأديبًا، أو إقامةَ حدٍّ، وكفّ الأذى عن كُلّ مُسلمٍ أو معاهدٍ، ... وأخذ المظلِمةِ من مَظلِمةٍ من غيرِ تعدٍّ.

وسُئِل الشّعبيّ عن حُسنِ الخُلق: فقال: "البذلةُ والعطيّةُ، والبشرُ الحَسنُ".(١٥)

وقال الحافظ ابنُ حجرٍ العسقلانيّ: "حسنُ الخُلقِ اختيارُ الفَضَائلِ، وتركُ الرّذائلِ".(١٦)

ونَقلَ ابنُ منصورٍ: حسنُ الخُلق: أن لا تَغضبَ ولا تَحتدّ. (١٧)

وقال القاضي عِياض: هو مُخَالطَةُ النّاسِ بالجميلِ والبرّ، والتودّد لهم، والإشفَاق عليهم، واحتِمالهم، والحلم عليهم، والصّبر عليهم في المكارِه، وتركُ التّكبّر والاستِطَالةِ عليهم، ومجانبةُ الغلظِ والغَضَب والمـؤاخَذَةِ.(١٨)

السُّنّةُ النّبويّة الشّريفةُ:

وقد جاءت السّنّة الشّريفَة تحمِلُ كلَّ ما يتعلّقُ بجوانب الحياةِ الإنسانيّة، وبناءِ شخصيّتِها من فردٍ إلى فردٍ، ومجتمعٍ إلى آخرَ بما فيها من توجيهاتٍ سَديدةٍ، تقُومُ بين الفردِ والأُسرةِ، والمُجتمعِ الإسلاميّ، وبينَ مجتمعاتٍ أخرى غيرِ إسلاميّةٍ؛ حيث تَشتَمِلُ على السُّموّ الأخلاقيّ الكبيرِ وقواعدِ الأخلاقِ والقِيَم الخُلقيّة التي ينبغِي لكلٍّ من الفردِ والمُجتَمَع المُحافَظَةِ عليها، والسّعي الحثيث لبُلُوغِها، ونجِدُ ذلك في السُّنّة القوليّةِ والفعليّة التي تُعتبَرُ منهاجًا كاملًا للحياةِ الإنسانيّةِ جمعاء، في السّفر والإقامَة، في التّحدُّثِ، والحِوار والضّيافةِ وآدابِ تناوُلِ الطّعام، وهَكَذا دَوَالَيْكَ.

هذا، وقد حثّ النّبيّ -صلى الله عليه وسلّم- على حُسنِ الخُلق، والتّمسّك به، وجَمَع بين التّقوَى وحسنِ الخُلقِ، فقال عليه الصلاة والسلام: «أكثر ما يدخل الناس الجنة، تقوى الله وحسن الخلق».(١٩) ورتّب على ذلك الأثرَ العظِيم والثّواب الجَزِيل لهذه المنقبةِ المحمُودةِ والخَصلةِ الطّيّبة. فقال: «إنّ الرّجلَ ليُدرِكُ بحُسنِ خُلقِه درجةَ الصّائم القائِم».(٢٠) وعدَّ النبيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- حُسنَ الخُلق من كمالِ الإيمانِ، فقال -عليه الصّلاةُ والسّلامُ: «أكملُ المُؤمِنِينَ إيماناً أحسنُهُم خُلقًا».(٢١) ويقولُ رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: «أحبُّ النّاس إلى الله أنفَعُهم، وأحبّ الأعمالِ إلى الله -عزّ وجلّ- سرُورٌ تُدخِلُه على مُسلم، أو تكشِفُ عنه كُربةً، أو تقضِي دينًا، أو تطرُدُ عنه جُوعًا، ولَئِن أمشِي مع أخِي المُسلِم في حاجةٍ أحبّ إليَّ من أن أعتكِفَ في المسجد شهرًا». (٢٢)

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «اتّقِ اللهَ حيثُما كُنتَ، وأتبِعِ السّيّئةَ الحَسَنةَ تمحُها، وخالِقِ النّاسَ بخُلُقٍ حسنٍ».(٢٣) وقالَ شارحُ التّرمذي الشّيخ المُبَاركفُوري -رحمه الله- في تُحفةِ الأحوَذي: «وخالِقِ النّاس» أمرٌ من المُخَالقَة، مأخُوذٌ من الخُلُق مع الخَلق، أي: خالِطْهُم، وعامِلهُم بخلقٍ حسنٍ، أي: تكلّفْ معاشَرتَهُم بالمُجامَلةِ في المُعامَلة، وغيرها من نحوِ طلاقةِ وجهٍ، وخفضِ جانبٍ، وتلطّفٍ وإيناسٍ، وبذلِ ندى، وتَحمُّل أذًى، فإنّ فاعلَ ذلك يُرجَى له في الدّنيا الفلاحُ، وفي الآخرَة الفوزُ والنّجاحُ.

ويقولُ الإمام الحافظ ابنُ حِبّان: "الواجبُ على العاقلِ أن يتحبّب إلى الناس بلزُوم حُسنِ الخلقِ وتركِ سُوءِ الخلق؛ لأنّ الخُلُقَ يُذيبُ الخَطَايَا كما تُذيبُ الشّمسُ الجليد، وأنّ الخُلُق السّيّءَ يُفسِدُ العَملَ كما يُفسِدُ الخَلُّ العسَلَ، وقد تكون في الرجل أخلاقٌ كثيرةٌ صالحَةٌ كلّها، ولكنَّ الخلقَ السّيّءَ يقضِي على جميعِها بأكمِلِها.(٢٤)

وأنشدَ بعضُهم:

أحسِن إلى النّاسِ تَستَعبِدْ قُلُوبَهُم فطَالَمَا استَعْبَدَ الإنسَانَ إحسانُ (٢٥)

وقال آخرُ:

والمرءُ بالأخلاقِ يَسمُو ذكرُه ويُفضّلُ في الوَرَى ويُوقّر(٢٦)

وإليه يشِيرُ قولُ الصّحابيّ الجليلِ عليّ بن أبي طالبٍ -رضي الله عنه- إذا فقدتَّ المال لم تَفقِد شيئًا، وإذا فقدتَّ الصّحةَ فقدتَّ بعضَ الشّيء، وإذا فقدتَّ الأخلاقَ فقدتَّ كُلَّ شيءٍ.(٢٧)

وعن عائشةَ -رضي الله عنها قالت-: «ما كان أحدٌ أحسنَ خُلقًا من رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال: لبّيك؛ فلِذَلك أنزل الله -عزّ وجلّ- : ﴿وإنّك لَعَلى خُلقٍ عَظِيمٍ﴾».(٢٨) على أنّ المُسلمَ مأمُورٌ بالكلمةِ الهيّنةِ اللّيّنةِ؛ لتكُونَ في ميزَانِ حسناتِه، فقال عليه الصلاة والسلام: «والكلمَةُ الطّيّبةُ صَدقةٌ».(٢٩) بل، وحتى التّبسّم الذي لا يكلّف المسلمَ شيئًا، له عليه أجرٌ؛ حيث قال -عليه الصلاة والسلام-: «فإنَّ تبسّمَك في وَجهِ أخيك صَدقةٌ».(٣٠) وعن أمّ سلمةَ رضي الله عنها: قلت: يا رسُولَ الله، المرأةُ مِنّا تتزوّجُ زوجَين والثّلاثةَ والأربعةَ، ثم تمُوتُ فتدخل الجنّةَ، ويدخُلُون معها، مَنْ يكُون زوجَها؟ قال: «يا أمّ سَلَمةَ؛ إنّها تُخيّرُ فتَختارُ أحسنَهُم خُلقًا، فتقُولُ: أيْ ربِّ إنَّ هذا كان أحسنَهم معي خُلقًا في دارِ الدّنيا فزَوّجْنِيه، يا أمّ سلمةَ، ذَهَبَ حُسنُ الخُلق بخَيرِ الدُّنيا والآخرة».(٣١)

ويمكِننُا أن نستَنتِجَ أمورًا ودرُوسًا رئيسيّةً ذاتَ أهميّةٍ من خلالِ الأحاديث النّبويّةِ السّابقَة، وهي كما يلي:

- أن يكُونَ الإنسانُ كثيرَ الحياء، قليلَ الأذى.
- كثيرَ الصّلاح، صَدُوقَ اللّسانِ قليلَ الكَلام.
- كثيرَ العمَل، قليلَ الزّلَل، قَليلَ الفُضُول.
- بَـرًّا، وَصُولًا، وَقُورًا، صَبُورًا، شَكُورًا، راضِيًا، حَلِيمًا، رفِيقًا، عفِيفًا، شفِيقًا.
- غيرَ لعّانٍ، ولا سبّابٍ، ولا نمّامٍ، ولا مُغتابٍ، ولا عَجُولٍ، ولا حَقُودٍ، ولا بَخِيلٍ، ولا حَسُودٍ.
- بشّاشًا هشاشًا، يحبُّ في الله ويرضى في الله، ويغضبُ في الله.(٣٢)

وقفةٌ تقويميّةٌ بسِيطةٌ مع نظرَيّةٍ خاطئةٍ سَائدةٍ في مُجتمَعاتنا:

بنظرةٍ فاحصَةٍ دقِيقةٍ فيما أسلفنا بيانَه من لَمحاتٍ خاطِفَةٍ من الآيَاتِ القُرآنيّة والأحاديثِ النّبويّة يتّضح لنا جليًّا أنّ العلمَ عامّةً والعباداتِ خاصّةً لهما ارتباطٌ وثيقٌ بحُسنِ الخلق، وقد أوصَى به العلماءُ قدِيمًا وحدِيثًا مُوضِّحين: أنّ بعضَ أصحابِ العباداتِ يعجَزُون أن يربطُوا بين حُسنِ التّعبُّد وحُسن الخُلق وسُموّ الذّوق، فثمّةَ العديدُ من طَبقاتِ النّاس يَحرِصُون على أداء العباداتِ في أوقاتِها، ولكنّهم يرتكبُون أعمالًا يأباها الخلقُ الكريم والعقلُ السّليم والطّبع المستقيم، ومن لم تُهَذّبه عبادتُه فهو مُفلسٌ!. فتراهم يُركّزون على الجانب التّعبّدي -أكثرَ من اللّازم- بينما الجانب الآخر الأخلاقيّ يحسبُونه هيّنًا وكأنْ ليس له أيّ وقعٍ وأثرٍ في إدخالِ السُّرُور إلى القُلوبِ وجذبِ النّفوس.

فمثلُهم كمثلِ مَن قِيل فِيه:

قُل لمن يَدّعيّ في العِلم فَلسَفةً حفِظتَ شيئًا وغابتْ عَنكَ أشياءُ (٣٢)

ورحم الله القائل:

أغايةُ الدّين أن تحفُّوا شَواربَكم يا أمّةً ضحِكتْ من جهلِها الأمَمُ (٣٣)

ورغم النّظرةِ التي يغلبُ عليها التّشاؤُمُ إلا أنّ الحُلُولَ مُمكنةٌ بإدارَةِ حوارٍ مجتمعيٍّ لا يستثني أحدًا لتشخيص الظاهرة تشخيصًا موضوعيًّا دون السّقُوط والهُبُـوطِ في الإسقَاطَاتِ الدّينيّة، أو الأيديولوجيّة، ثمّ البحث عن المخرجَات الموضوعيّة وفقَ مشاريعَ استراتِيجيّةً على المَدى المتوسّط والبَعيد.(٣٤)

ختام البَحثِ:

وفي نِهايةِ المطاف أعُودُ إلى ما كنتُ بالأصل عنيتُه أنّ ثمّةَ حاجةً ماسّة للعمل على مخطّطٍ تربويٍّ شامِلٍ يُدرّب الجِيل الجَدِيد على الالتزامِ بالمسؤُوليّة الأخلاقيّة والسّلوك الصّالح اجتماعيًّا، ويمكن ذلك عبر الإعلام الحكومي أن يلعب دورًا هامًّا في تثقيف المجتمع حول مسؤولياته الأخلاقيّة.

وأخيرًا، تتطلّب معالجةُ الانحِطَاطِ الأخلاقِيّ في المُجتَمع نظرةً علميّةً شاملةً لهذه المشكِلة؛ كي يتمّ الحُصُول على نظامٍ متكاملٍ يهدِفُ الى ترسِيخِ القِيمِ الاجتماعيّة في المجتمع ويدعمُها على الصعيدين: القانونيّ، والتربويّ.

وهذا هو بيتُ القصِيد، والذي له طَلعٌ نضِيد، وصلّى الله وسلّم وبارك على نبيّنا محمّدٍ وعلى آلِه وأصحابِه أجمعين.

الهـــــوامـــــش:

(١) أبو داود، "السنن" كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، برقم: ٤٧٩٩. والتّرمذيُّ، "الجامع الكبير"، أبواب البرّ والصّلة، باب بيان ما جاء في حُسنِ الخُلق، برقم: ٢٥٨٧.

(٢) ذكرهما علاّمة الزّهد والرّقائق في كتاب: مكارم الأخلاق، مسنداً إلى أبي جعفر القُرشيّ، صفحة: ٣٢. والبيتين المذكورين ذكرهما العلاّمة القُرطُبيّ في تفسيره: أحكام القرآن، في المجلّد السّابع، صفحة: ٢٤٦.

(٣) ذكرهما العلاّمة أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان المتوفّى سنة ٢٠٩ هجريّة، في كتابِه: "تفضيلُ الكِلابِ على كثيرٍ ممّن لبس الثياب" بتغييرٍ يسيرٍ في صياغةٍ، وأمّا المعنى فهو نفسُ ما ذكره المرزبانيّ.

(٤) كلاهما لأمير الشّعراء أحمد شوقي اقتباسًا من أروع أبياته.

(٥) رواه البخاريّ في "الأدبِ المفرد"، برقم: ٢٧٣، وابن سعد في "الطبّقات".

(٦) أخرجه أبو داود، وأحمد باختلافٍ يسيرٍ. والتّرمذيّ مطوّلا، والبخاريّ في "الأدب المفرد"، واللّفظُ له.

(٧) أخرجه محمّد بن نصر المروزيّ، في كتاب: "تعظيم قدر الصّلاة" -رواية أبي العلاء- مرسلاً.

(٨) أخرجه الإمام أحمد في "مسنَده"، برقم: ٩٦٥٧، والبزّار برقم: ٩٧١٣، وابن حِبّان برقم: ٥٧٦٤ باختلافٍ يسيرٍ.

(٩) رواه أبو داود.

(١٠) أخرجه التّرمذي في كتاب "البرّ والصّلة"، باب معالي الأخلاق، برقم: ٢٠١٩، وصحّحه الألباني في صحيح سنن التّرمذي، المجلد الثاني، صفحة رقم: ١٩٦.

(١١) ذكره الطّبرانيّ في "المعجم الكبير"، برقم: ١٠٥، والبيهقيُّ في "شّعب الإيمان" برقم: ١٠٨٢٨.

(١٢) الأخلاق في الإسلام مع المقارنة بالدّياناتِ السّماويّة والأخلاق الوضعيّة، تأليف الدكتور يعقوب المليجي، صفحة: ٢٨، وهو أستاذ مساعدٌ بجامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلاميّة، كلّية الشّريعة والأصول، طبعة: مؤسّسة الثّقافة، بتصرّف وحذفٍ وزيادةٍ.

(١٣) فتحُ الخلاّق في مكام الأخلاق، لأحمد السيد جويلي، طبعة: دار المحبّة.

(١٤) الإنسانُ والأخلاقُ والمجتمعُ، تأليف: چون كارل فلوجل، طبعة: دار الفكر العربيّ، بتصرّف وزيادةٍ.

(١٥) ابن رجب الحنبليّ -رحمه الله-، في "جامع العُلوم والحِكَم في شرح خمسِين حدِيثاً من جَوامِع الكلِم"، المجلّد الأوّل، صفحة: ٤٥٨.

(١٦) طائفةٌ من الأحاديث النبويّة المختارة من دليل الفالحين بطُرُق رياض الصّالِحين، لـــــــــ: سليمان درويش أحمد عامر.

(١٧) الفُرُوع، للإمام شمس الدّين أبو عبد الله محمد معظم المقدِسيّ الحنبليّ، المتوفّى سنة: ٧٦٢ هجريّة، وبذيله: تصحيح الفروع للعلاّمة الشيخ علاء الدين علي بن سليمان المرداوي المتوفّى سنة: ٨٨٥ هجريّة.

(١٨) السّاطع، من كتاب: بلوغ المرام من أدلّة الأحكام، جمع وتحقيق: محمد بن عبد الله.

(١٩) التّرمذيُّ، الجامع الكبير، أبواب البرّ والصّلة، باب بيان ما جاء في حُسنِ الخُلق، برقم: ٢٠٠٤.

(٢٠) أحمد بن حنبل، المسند، مسند الصديقة عائشة رضي الله تعالى عنها، برقم: ٢٥٠١٣.

(٢١) أحمد بن حنبل، "المسند"، مسند أبي هريرة رضي الله تعالى عنها، برقم: ٧٤٠٢، وأبو داود، "السنن"، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، برقم: ٤٦٨٢.

(٢٢) الطبراني، "المعجم الأوسط"، من اسمه: محمد، برقم: ٦٠٢٠، والمعجم الصغير، من اسمه: محمد، برقم: ٨٦١

(٢٣) التّرمذيُّ، "الجامع الكبير"، أبواب البرّ والصّلة، باب بيان ما جاء في معاشرة الناس، برقم: ١٩٨٧.

(٢٤) سنابِلُ الحسنات، الأعمال ذواتُ الأجور المُضاعَفات، صـــــ: ٦٠، جمع وإعداد: جاسم محمّد عبد.

(٢٥) كتاب: عبد الله سنان، مغنّي الشعب، حياتُه وشعرُه، تأليف الأستاذ فاضل خلف.

(٢٦) موسوعةُ الغَوازي للحِكَم والأمثال، والنّصَائِح والأقوال، صحفة: ٤٤٧، تأليف: سعيدُ بن محمّد.

(٢٧) قامُوسُ الحِكَم والأمثال والأقوال الخالدة، صـــــ: ١٨٢، تأليف: مارون يوسف، طبعة: المؤسسة الحديثة.

(٢٨) أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، صـــــ: ١١٨، برقم: ١١٩.

(٢٩) البخاري، "الجامع الصحيح"، كتاب الجهاد والسير، باب من أخذ بالركاب ونحوه، برقم: ٢٩٨٩.

(٣٠) التّرمذيُّ، "الجامع الكبير"، أبواب البرّ والصّلة، باب بيان ما جاء في صنائع المعروف، برقم: ١٩٥٦.

(٣١) الطبراني، "المعجم الأوسط"، من اسمه: بكر، برقم: ٣١٤١، و"المعجم الكبير"، ما روى أنس بن مالك عن أم حبيبة، برقم: ٤١١.

(٣٢) ابن وكيع التنيسي، المنصف للسارق والمسروق منه، صـــــ: ٥٥٨، والتِّلِمْسَاني، "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب"، جـــــ: ٥، صـــــ: ٥٥٤.

(٣٣) أبو العلاء المعري، "اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي"، برقم: ١٣٤٦.

(٣٤) مقتبس من مقالةِ كاتب تونسيٍّ عبد الستار الخديمي، بعنوان: الانهيارُ الأخلاقيّ بين الإمكان والاستِحالةِ.

ذكريات

أ.رضوان حفيظ

الحلقة الثانية عشر:

يسر أسرة مجلة السلام نشر ذكريات من حياة فضيلة الشيخ العلّامة المفتي محمد تقي العثماني –حفظه الله تعالى– في مجلّتها في صورة حلقات متسلسلة مترجمة من مجلة "البلاغ" الأردوية، وبالمناسبة توجّه إدارة المجلة كلّ الشكر والتقدير إلى فضيلة الشيخ –يحفظه الله تعالى– لإذنه بالترجمة والنشر.

كان سفرنا نحو راجستان من دهلي، نزلنا بمدينة "جوده بور" من مدن ولاية راجستان حيث كان المبيت، وكان البيت الذي نزلنا به ضيفا كثبَ سكةٍ حديدية، وما أستحضره من هذه الإقامة القصيرة أني رأيت قطارا شاحنا تسير على السكة، تنتشر منها رائحة كريهة، ولعلها كانت تستخدم لنقل الأوساخ والأقذار إلى مكان ناء.

بتنا بها ليلة، ثم انطلقنا حتى أتينا محطة "باره ميل"، وهنا ضاع صندوق لأختاي الكبيرتين، وكانت فيه ملابسهما، وعانينا جد تضايق وانزعاج في تفقده. ووصلنا أخيرا أقصى المحطات في الحدود الفاصلة بين الهند وباكستان، وكانت المحطة مخصصة للإجراءات الجمركية، وكان عملاء الجمرك الهنديون يفتشون أمتعة المهاجرين تفتيشا دقيقا، وكانوا لا يجيزون حمل الأقمشة غير المخيطة بالأخص، ولعلهم كانوا يرمون من ورائه أن يُصَدِّقُوا هتافهم الذي رفعوه ضد الاستقلال مستنكرين: "باكستان الطاوية العارية"، وأن يبدوا للمهاجرين –كحقيقة ملموسة– أن الدولة التي طالبتم باستقلالها، وسعيتم لتحررها لا تتيسر لكم فيها مرافق الحياة حتى ملابس تستر أبدانكم. وكان فيما حملناه في أمتعتنا ماكينة للخياطة، فأخذها عملاء الجمرك قسرا. واصلنا سيرنا بعد الانتهاء من الإجراءات الجمركية القاسية حتى اجتزنا تخم الهند، ودخلنا أرض باكستان، وكان أول منزل نزلناه في باكستان "مدينة حيدر آباد بإقليم سنده"، بتنا بها ليلة، وما أستحضره من هذه الإقامة القصيرة أن غالب الأبنية كانت بها فتحات نحو سقوفها لتفريغ الهواء، وكانت هذه الفتحات منحنية مائلة، ولم نكن نعهد نحن أهل يو–بي (أتر برديش) مثلها، وكانت لا تقل في أعيننا عن أعجوبة.

بتنا بها ليلة، ثم شددنا رحلنا نحو كراتشي حتى نزلنا بمحطتها الرئيسية السادس من شهر مايو عام ١٩٤٨م، ورحب بنا في المحطة فضيلة الشيخ احتشام الحق التهانوي، وأحد أصدقاء والدنا الكريم خليفة محمد عاقل –رحمة الله عليهم–، ولما أن مجيئنا إلى باكستان كان تلبية من قبل فضيلة الوالد –رحمه الله– لدعوة السلطة العليا بالبلاد، فهيئت لنا السلطة السكن من عندها، وأنزلتنا بمنطقة "صدر" في شقة ببناية قائمة على شارع "وكتورية"، وكانت البناية تسمى "كنكس كورت"، وكانت شقتنا في الطابق الثالث منها، وافترشنا أرضية البيت أياما قلائل إلى أن وُفرت لنا السرر، وكانت الشقة جميلة البناء، وكانت نوافذه تفتح على شارع "وكتورية" الذي يسمى اليوم شارع "عبد الله هارون"، وشتان ما بين شأنه اليوم وما كان شأنه قبل سبعين عاما إذ كان يعتبر أجمل شوارع كراتشي لنظافته وأناقته، وبيئته الهادئة، أما اليوم فزحام المواصلات على متنه، والمحلات التجارية القائمة على حافتيه تكاد تمحو صورته الأولى من لوحة التصور. وكان على

يمين المبنى شارع كراتشي الرئيسي "شارع بندر"، والذي يعرف اليوم بـ "شارع القائد الأعظم"، وكان به محطة الترام الرئيسية، وكانت تسمى "كنف الترام"، وعلى يسار المبنى كانت سوق "صدر" الكظيظة، وكانت شوارع كراتشي الأساسية تنظف -في ذلك العهد- كل يوم بالماء، وكان تنظيف الشوارع أمرا غريبا لنا أهل ديوبند أهل البداوة، وكان منظر التنظيف يلفت أنظارنا، ويملأ عيوننا بشتى محاسنه، وكان شارع "بندر" ممر مواكب الحكام، فكان يمر به رئيس الجمهورية، ورئيس وزرائها، ورؤساء الدول الأجنبية في مواكبهم.

كانت بناية "كنكس كورت" -وهي لم تزل باقية بنفس الاسم إلى يومنا هذا- مبنى سكنيا ذا طوابق أربعة، وكانت جديرة -نظرا إلى سكانها يومئذ- بأن تسمى "عمارة متعددة الثقافات"، كانت شقتنا في الطابق الثالث منها، والطابق الرابع كان يسكن به أحد أثرياء "سنده" المرحوم محمد لائق لاكهو، وكان يمثل -بمظهره العام، وأسلوب عيشه وسلوكه- ثقافة سنده التقليدية، و"لاكهو" عشيرة عتيقة من عشائر أهالي سنده، وكان جيرانه المجاورون يخاطبونه بـ "لاكها صاحب" بدل "لاكهو"، فعقلت فطانتي البريئة وجها جميلا لهذه التسمية، وهو أنه سمي بذلك لامتلاكه ثروات هائلة يبلغ مجموعها إلى آلاف مؤلفة(١) ، وكانت العلاقة بيننا وبينه كعلاقة القرابة، وكانت زوجته تحظينا جميعا الإخوة ولأخوات بجم حبها، وكانت تعاملنا بما تعامل به أخت كبيرة إخوتها وأخواتها الصغار، وكان ابن المرحوم محمد لائق، المتوفى غلام بشير كأحد إخوتنا.كنت في الربيع الخامس من عمري، فكنت أتردد إلى بيته بلا كلفة. كانت زوجة المرحوم "لاكهو" تحسن صنع الخبز المزيت على طراز أهالي سنده التقليدي، وكان هذا الخبز يصنع على مقلاة مسطحة، وكان يثير شهيتي، وكانت تطعمني إياه بكل حب وحنان، وكانت ببيتهم أريكة من صنائع أهالي سنده التقليدية، وكانت الأريكة عبارة عن سرير وأرجوحة، وكنا الصغار نتمتع بالتأرجح به. وكان بيتهم على الطابق الأخير، وكان فوق بيتهم سطح غير مغطى، وكنا نستخدمه كملعب بعد العصر، وكان ابن المرحوم "لاكهو" غلام بشير صغير السن، وكان يتردد إلى بيتنا كأحد أبنائه، وكانت العلاقة بين نسوة البيتين وتيدة، على كلٍ قضينا أياما جميلة معهم، نتقاسم الأفراح والأحزان كأننا أفراد أسرة واحدة، ولم نقطع التواصل معهم بعد انتقالنا من هذه الشقة، قد توفي الشيخ "لاكهو"، وابنه غلام بشير، وما زلت على تواصل مع حفيده ابن غلام بشير الأخ غلام هادي، والحفيد المذكور يدير وكالة عقارات.

وكان يسكن بالطابق الثاني صاحب السعادة "وزير جُلْ"، وكان عاملا في الجيش البحري، محتلا رتبة "ملازم رائد(٢) " فيه، وكان موطن آبائه إقليم سرحد (تغير اسمه قبل سنوات، ويسمى سرحد اليوم "خيبر بختون خواه") بباكستان، وكانت الصلة بيننا وبينه متينة، كانت زوجته تنزل والدتي الكريمة منزلة أم رؤوم، ، وكانت تستشيرها في كل ما يعترضها من المشاكل، وكان ابنه "شاه جهان"، وبناته يترددون إلى بيتنا كثيرا.

وكانت بإزاء شقتنا -في نفس الطابق الثالث- شقة أخرى، وكان تسكن بها أسرة ميمنية(٣) مجوسية، وكانت تلوح على باب شقة هذه الأسرة المجوسية تلك النقوش والزخارف المصنوعة من كلس التي كانت تعتبر شعارا للبيوت المجوسية في ذلك العهد.

وكان يقطن بالطابق الأول موظف حكومي ينتمي إلى مقاطعة سهارنبور، وبالطابق الأرضي عجوز إفرنجي مع صاحبته التي كانت مثله في السن، وكان العجوز مقطوع يد أجذم، وكانت عنده سيارة قديمة غير مسقفة، تقف دوما أمام بيته، وكانت السيارة تستخدم صاحبها أكثر من أن تقدم إليه خدماتها، فكنا كثيرا ما نرى العجوز في رابعة النهار قد شمر عن ساعد الجد، يقوم مطأطأ رأسه مع أدوات التصليح أمام غطاء المحرك المفتوح تارة، ويمتد على ظهره تحت السيارة تارة أخرى، وذلك إذا أراد استخدامها مساء، وعند الأصيل كان يركبها الزوجان بعد تحسين شارتها بالاستحمام، وإصلاح هندامهما، وعندما كان العجوز يشغل محركها كان أزيز المحرك يجهر بلا خوف وملامة أن السيارة قد انقادت لهما بالسير كرها لا طوعا.

الهوامش:

١- علما بأن مئة ألف تسمى بالأردية "لاكھ"، فظن شيخنا -أطال الله بقاءه في عافية تامة- أن صاحب "مئة ألف" يسمى لاكها، والله أعلم. (ر)

٢- وهي رتبة بين رتبتين في بعض القوات العسكرية البحرية، فوقها رتبة "رائد" ودونها رتبة "ملازم"، وهي تكافئ رتبة "مقدم" في الجيش البري، وتسمى بالإنجليزية "lieutenant commander". (ر)

٣- نسبة إلى ميمن، وميمن قوم عريق من أقوام الهند، يقطن ببعض بلادها ككجرات، وراجهستان، وجونا كره، كان أبناؤه يدينون قديما بالديانة المجوسية، والبوذية، ثم تشرف بالإسلام كثير منهم في آخر القرن الأول حين فتح محمد بن قاسم ديار سنده، والقوم معروف بالتجارة اليوم. (ر)

الصَّحابة كلهم عدول

الشيخ فخر الاسلام المدني/ الأستاذ بالجامعة الإسلامية بنوري تاون.

الحمد لله الذي حبَّب إلينا الايمان، وكرّه إلينا الكفر و العصيان، والصلاة والسلام على من أيَّده الله بنصره وبالمؤمنين، وكفاه شرَّ النفاق والمشركين. **أما بعد:**

نقولْ: "الصَّحابة كلُّهم عَدولْ"، لأنهم صَحِبوا الرسولْ، وجدوا القبولْ، نصح اللهُ بهم الأمّة، كشف اللهُ بهم الغمَّة، أولئك أسَسُ الدين والايمان، ووسائط علم الحديث والقرآن، تربَّيْنَا على الحبِّ والوفاءْ والوسَطية والثناء، وهم أكابرنا ومفاخرنا، وبذكرهم تتحلَّى منابرُنا، تشتاق اليهم النفوس، لأنهم حفظوا النصوص، ولكل منهم مناقبُ تُذكر ومحاسِن تُنشر، سيرتهم تبقى وحسناتُهم إلى السماء ترقى.

ومِن الناس مَن لم يعرفْ حَجَمهم فهَجَمهم أولئك قاسُوا الصحابة على أنفسهم فقسَوْا، ووصفُوهم بوصف وما صَفَوْا، شَكُّوا فيهم فشَقُوا، خاضوا فيهم وما خضعوا، نالُوا منهم؛ لأنهم لم ينالوا حقيقة الايمان، قالوا فيهم لأنهم لم يعترفوا بحقيقة القرآن، ساءت الظنون فأساؤا، هانتِ نفوسُهم فأهانوا، وصارعوا خير البريِّة وأسرعوا، لما سبُّوا الصحابة صبَّ اللهُ عليهم سَوط العذاب بأيديهم، دينُهم يدور حول "المأتم" لأنَّ العقل ما تمّ.

أرحم أمتي بأمتي:

ولم يرحم أولئك الظالمون على من هو أرحم الامَّة بها، يتبرَّؤُن مِمّن تبرَّع بجميع ماله في سبيل الحق، واشتدَّت عِدائهم على من هو في أمر الله أشدّ، ولم يَستحيُوا ممن هو أكثر حياءً، وقضوا أن يفرطوا في حقِّ من هو أقضاهم، ما أحسنوا إلى الحسين ولم يُحصِّنُوه بل غادروه وغدروا وخاذلوه وخذلوا.

موقفنا من الصحابة:

والحقُّ أن الصَحابة نجوم وأقمار، بُدُور وأنوار، وربُّك يخلق ما يشاء ويختار، سَحَبُوا الخيرَ والخبرَ؛ لانهم صحِبوا خيرَ البشر، هم خير القرون، والقرآن أُنزل في قرنهم ونزل في أرضهم، حسب الطلَبِ والحال، والضرورة والسؤال، قالوا بالحق ولم يبالوا، ونالوا في سبيله من الأذى ما نالوا، من تكلم فيهم خبط، ومن لم يسكت سقط، تعلَّموا العلم والدِّين وفي سبيل ذلك تألَّموا، بالرسول الكريم تعلَّقوا، وبخُلُقه العظيم تخلَّقوا، وبكلِّ ذلك تألَّقوا.

بأيِّهم اقتديتم اهتديتم:

هم الذين بذلوا النفس والنفيس والغالِيَ والرخيص، صرفوا الجليل والقليل، عرفوا الحقَّ والدليل، ذاقوا حلاوةَ الإيمان وأذاقوا، وفاقوا بالدعوة إلى الله وأفاقوا، سادُوا الأمّةَ بلاكيد وقادُوها بلا قيد، كانوا يتواصَون بالمؤاساة ويتراضون بالمؤاخاة، جاهَدوا مع الرسول ولم يجحدوا، ساعَدوا الرسولَ فسُعِدوا، وعلى منبره بعده صعدوا، الاقتداء بهم اهتداء، والنيل منهم إعتداء، حبُّهم رحمة، نشكر عليه الرحمن، وبغضهم لعنة نعوذ بالله من الشيطان.

الخلفاء الراشدون:

أما سيّدنا أبوبكر الصديق – رضي الله عنه – فإنه بكَّر بالايمان وصدَّق، شهِدَ المشاهدَ وصَعِد المصاعدَ، أقدَمهم إيمانًا وإذعانا، أكثرهم إيثارا وإحسانا، هو الذي صاحَبَ الرسول في الهجرة والسفرْ، وحذَّر الأمَّة بعده من الفتنة والخطَرْ، فأدرك الخطورة ووضَّح الضرورة، وهو

الرفيقُ في الغار والسفرْ، والغزوات والحضرْ؛ فالحذرُ كلَّ الحذرْ ممن لم يعرف له القدرْ.

وأما سيّدنا عُمر الفاروق – رضي الله عنه – فإنه عمَّر البلادَ، وطهَّر العبادَ، فهو غَلْقُ النِّفاق والفتنة وقَلَقُها، هو الباسِل البَطَل، سجَّل تاريخًا في العدَل، وهو القائل: "يا سارية الجبلْ" كان يهابُه القيصرُ في قصره والفُرس بأسره، شديدًا على المنافقين والكفارْ، رحيمًا بالمهاجرين والأنصارْ، لا يَضرُّ الشمسَ من لم يُبصرْه في ضوءِ النهار، أعزَّ الله به الإسلامَ والمسلمين، وأذلَّ به الشركَ والمشركين.

وأما سيّدُنا عثمان بن عفانَ – رضي الله عنه – فهو الرجل السعيد والمظلوم الشهيد، الغنيُّ المكتسِبْ والصابر المحتسِبْ، الَّذي بذل النفيس ولم يخلع القميص، هو الحليم الذي كظم الغيظ، والكريم الذي جهَّز الجيش، هو النجم اللامع في كوكبة السماء، يمتاز بالانتساب والخلافة والسخاء.

وأما سيِّدنا علي المرتضى – رضي الله عنه – فأمره جلي، وكل يدَّعي أنه تقي، ولا شكَّ في أنَّه وَلِيْ، وهو عن كل ما أفْرطوا في حقه بريء، أولئك فضَّلوه عن الصحابة، وفضَّلوه على الجماعة، لو كان حيًّا لقاتلَهم، وبكلِّ العبس قابَلَهم، وكيف يرضى أن يجعلوه لله ندًّا، فإن التوحيد أمر منه لا بدَّا، له القرابة والفضل، وهو الشجاع البطَل، ما بارز أحدا إلا قتل، وهو الذي لولاه، لما قال الرسول: "من كنتُ مولاهْ..." طلَّق الدنيا لإتصافها بعدم البقاء، ومثلُه لايسكت إلا عن الرضاء، والبشرُ مهما كان فإنَّ مصيره إلى الفناء ، كل واحد منهم عديم النظير تحت أديم السماء.

أمُّ المؤمنين عائشة– رضي الله عنها –:

وأما سيّدتنا عائشة – رضي الله عنها – فستعيش أبنائُها مدافعين عنها، هي الطيبة الطاهرة، والفقيهة الصابرة، وقد ضاعتْ أبناءُ السَّلول ما حولها أذاعتْ، وشاهت الوجوه على ما اشاعتْ، أما عرفتم لمن الحريم؟ تحسبونه هيِّنًا وهو عند الله عظيم، شرَّف اللهُ أمَّ المؤمنينْ بآيات تُتْلى إلى يوم الدينْ، إنما الطيبات للطيبين.

أما سيِّدنا معاويةُ بن أبي سفيان– رضي الله عنه –، فسُبْحان من علَّم بالقلم، هو الحكمَ فأحْكمَ، الرجل الصالِح الذي صالَح السيَّدَ فأصلَح، وبايَعَه سيدنا حسنُ فأحْسَن، وهذا يعتبر من أهمِّ العُقود، أزال اللهُ به الحقود، وخيَّبَ به آمال الحسود، هو الرجل الحكيم والدرُّ اليتيم، جمع بين السياسة والكتابة والدِّين، ولايأتمن الأمينُ إلّا الأمين، – رضي الله عنه –.

أما الرافضة فخلافهم في الخلافة، مع شيءٍ من الإضافة، يقولون غصبوها، ونقول: نصبوها، عداءٌ حقيقي يَبْتنِي على أُسَسٍ خيالية، وإتهاماتٌ فرضيَّة بأساليب غير مرضية، كيف تذكر مساويهم وأنت لاتساويهم؟ هم معالم المجد والهداية، حمَلةُ العلم والرواية، فماذا بعد الحقّ الَّا الغَواية.

أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها:

أولئك المساكين لَمَّا رَوَوْا، "أنا مدينة العلم وعَليٌّ بابُها"، عكفوا على الباب ووقفوا، فسعوا إليه وسَهَوْا، فقابلوا عليًّا – رضي الله عنه – وما عَلَوْا، لأنهم عن الحق خَلَوْا، حيث اكتفوا بعليٍّ ولم يقتفوا أثره، فأخذوا العَلَمَ ولم يأخذوا العِلْمَ، ولو دخلوا من البوَّابةْ لقابلوا أُسْدَ الغابةْ، ولكنَّهم حُرِموا حتى هَرِموا، اعتقدوا في خلافته الوصلْ، حتى رفضوا به الأَصلْ، هل يستوي هو ومن يأمر بالعدلْ.

أهـــــل البيـت:

يدَّعون حُبَّ أهلِ البيت ويَدَعون سيرتَهم، فالسَير بلا سيرة، كالبصر بلا بصيرة، فالعقربُ منهم يدَّعي أنه إلى أهل البيت أقرب، هم الذين قفزوا الحدودَ وضربوا الخدود، طعنوا القلوب وشقُّوا الجيوب، وأقصَاهم من الصحابة أقساهم، يسعَوْن لأجَل الحق، ولا يسعون لأجْله، يأمَلون في إبطال الحق ولأجْله يعملون، ونحن – والحمد لله – صِلَتُنا بأهل البيت صلاتيَّةٌ يوميَّةٌ، وليستْ سنويِّة لوميَّة، حيث لا يتم صلاتنا إلا بالصلاة عليهم، نرى لهم القرابة والفضل، والخلافة بالفصل.

وختامًا، القانت لا يقنط من رحمة الله، لعلهم يتوبون وإلى صرف العبادة لله يؤُبون، والذي يظهر أن المانع من صرف العبادة، هي العادة أو القيادة، عامَّتهم معذورون وأئمتهم مأسورون، لو فَطِنوا لم يُفتنوا، لو تابُوا لطابَ إسلامُهم وما خابوا، ليتَهم أقالوا، عن كل ما قالوا، ولأهل العلم في إسلامهم مقالُ.

آليات الشكر عند الشعور بالنعم

د. أحمد الطيبي

باحث في الدراسات الإسلامية من جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب

إن نعم الله كثيرة لا يمكن حصرها أو عدها، لأنها في تزايد مستمر ودائم، فكل لحظة قد تخلق آلاف النعم أو تنمو وتتناسل، فمثلا في المعلوميات ينعم الله على عباده بنعم لم تكن في الحسبان، فيهدي الله إليها العباد ويذللها لهم تذليلا؛ والإنسان بالآليات التي أودعها الله فيه يمكن له أن يرى أثرها حوله، فتراه إما شاكرا وإما كفورا، فإن مؤمنا هداه الله للتأمل والتدبر شكر، وإن كان كافرا بالله لا يرى له أثرا ولا ولا وجودا ينسب كل شيء للطبيعة حوله كفر، والكفر مرض يجعل شعور العبد وإحساسه يكاد يكون منعدما، فهذا النوع من البشر قد لا يعيش سعادة أبدا وإن توهم أنه سعيد، لأن مصدر السعادة هو الإيمان بالله سبحانه وليس الكفر به، فالمؤمن الراضي بقضاء ربه وقدره عبد "مُسْتَرِيحُ النَّفْسِ، سَاكِنُ الْبَالِ، مُجْتَمَعُ الشَّمْلِ، فَارِغُ الْقَلْبِ مِنْ تَعَبِ الدُّنْيَا، مُتَوَحِّدُ الْوُجْهَة؛ فَهُوَ بِذَلِكَ طَيِّبُ الْمَحْيَا، مُجَازَى فِي الْآخِرَةِ" الشاطبي، الموافقات: ١/ ٣٤٩. قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ النحل: ٩٧

٩٧ فثبت إذن، أن الشكر مصدره الإيمان، والإيمان مجلبة للسعادة الحقيقية، فما على العبد إلا معرفة آليات الشكر إن أراد الحصول على الحياة الطيبة، وهذه الآليات يمكن إجمالها في اثنين، آلية النطق باللسان، وآلية حركة الأبدان:

أولا: آلية النطق باللسان: اللسان كما هو معلوم نائب عن الجنان الذي هو القلب، والقلب سلطان الجسد، فإذا أراد السلطان النطق عبر اللسان عن مراده فتسمعه الأذنان، عندها يقشعر البدن ويتنبه، وكأنه كان في غفلة، فيعلم حينئذ أن

المنطوق به جد، فمن لا يكون لسانه رطبا بالشكر لا يمكن له أن يشعر بالنعم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ إبراهيم: ٧ بمعنى إن نطق لسانكم بالشكر زدناكم من المنطوق به خيرا كثيرا لا حصر له؛ والزيادة المشروطة هنا والمؤكدة، هي زيادة عامة شاملة لكل خير، لأنها من الرب لعبده، والرب عطاؤه لا ينفد ولا ينقطع، قال تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ النحل: ٩٦ وأبلغ النطق على الإطلاق في التعبير عن الشعور بالنعم هو الحمدلة، أعني كلمة: الحمد لله، تلك الكلمة التي كلما نطق بها العبد قاصدا الشكر، كلما تجدد نشاطه، وتجددت حيويته، فانتعش القلب حينئذ وانتعشت معه الجوارح، فترى للناطق بها مخلصا سمات على محياه، ويزيده الله نورا على نور، فيجمع بين نور الشعور بملكية الحمد لله، ونور الرغبة والطمع في ما عند مولاه الذي هو الله، فهي في الحقيقة كلمة لا نظير لها في كلام العرب على الإطلاق؛ دليل ذلك من القرآن الكريم، فبالحمد بدأ الله كتابه، فقال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ الفاتحة: ٢ عُبر أصحاب الجنة عن شكرهم عندما رأوا ما أنعم الله به عليهم قائلين: الحمد لله، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ فاطر: ٣٤ وقال أيضا: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ الزمر: ٧٤ والصلاة التي هي أم العبادات لا تصح إلا بقراءة الفاتحة في أول كل ركعة؛ فهي كلمة عظيمة جليلة عند الله، لذا أحب الله من عبده النطق بها في أموره كلها، في عباداته ومعاملاته وعاداته، فإذا لبس العبد مثلا ثيابه أو نعليه يسحب له قولها، وإذا ركب دابته كذلك، وإذا سمع ما يسره أو يضره كذلك أيضا وهلم جرا.. وجاهل من يظن وجود كلمة تفضلها أو تحل محلها عند التعبير عن شكر النعم، فالله هو الخبير سبحانه بما يعبر به من كلام مستغرق للمعاني في النفوس؛ وفي السنة النبوية البيانية، نجد محمدا رسول الله عليه الصلاة والسلام يعلمنا ويرشدنا إلى فضلها فيقول: "الحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض" رواه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث: ٢٢٣. فنطق اللسان بها إذن، له فضل كبير لا يعلمه إلا الله سبحانه، قال الإمام ابن عطية في تفسيره للحمد، " الحمد معناه الثناء الكامل "(١) فما على العبد المريد الذي يريد رضى الله، إلا الإكثار منها في سره وعلانيته، وترويض اللسان عليها في خلواته، حتى يصير بها رطبا لعلها تسعفه عند مماته وعند مبعثه من قبره، فينطق بها سهلة لينة، ينفعه فضلها يوم لا ينفع مال ولا بنون، وتبلى سرائر كل مدفون لرب العلمين..

ثانيا: حركة الأبدان: والمراد بها توظيف البدن في الفعل الخيري شكرا لله على نعمة الصحة والعافية، فمثلا من رزق صحة في بدنه وأراد الشكر، شرع له الشارع إعانة الناس على قضاء حوائجهم، فكلما حرك جارحة من جوارحه كان شاكرا لله، مزكيا لهذه الجارحة، قال صلى الله عليه وسلم: "كل سلامي من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الإثنين صدقة، ويعين الرجل على دابته فيحمل عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة" فهذه المجالات المذكورة كلها مرتبطة بالحركة الجسمانية، إذا قام بها العبد أخذ صدقة فنال رضى الخالق والمخلوق أيضا، فكان شاكرا لله على نعمه.

والشكر بالبدن مجال لا حد له، يدخل فيه تعليم الناس الخير بشتى الطرق، ويدخل فيه عمل اليدين والرجلين كما جاء في الحديث الشريف وهلم جرا... المهم أن يكون كل ذلك مبنيا على القصد الحسن، الذي يجتنى منه الصلاح، فالقرآن كله يتحدث عن الإيمان والعمل الصالح، فكلما اقترنا كلما كمل العبد في عبوديته لله تعالى، وفي شكره لمولاه.

الهوامش:

١- ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤٢٢هـ/ ١/ ٦٦

حياة بعد الاحتضار

دُكُّوا المبَانِي عَلَى الأَطْفَالِ والحُرَمِ ... مَا ضَاعَ حَقٌّ مَعَ الإِرْهَابِ مُذْ إِرَمِ

لا تَحْسَبُوا اللهَّ إِنْ غَابَتْ ضَمَائِرُكُمْ ... عَنْ قَتْلِ طِفْلٍ وَشَيْخٍ غَيْرَ مُنْتَقِمِ

الشَّرُ يَفْنَى وَيَبْقَى الخَيْرُ مُنْتَصِرًا ... والعِزُّ لَيْسَ بِطَمْسِ الحَقِّ وَالنِّقَمِ

صُبُّوا القَنَابِلَ فَوْقَ الشَّامِ وَابْتَسِمُوا ... فَلَنْ تَرَوْا غَيْرَ شَعْبٍ غَيْرَ مُنْهَزِمِ

لَنْ يُقْهَرَ الشَّعْبُ إِنْ يَبْقَ لَهُ رَمَقٌ ... وَيَنْصُرُ الدِّيْنَ وَالأَعْرَاضَ بِالْهِمَمِ

مَاذَا جَنَتْ قَبْلَكُمْ بَارِيْسُ يَا خُدَعٌ ... أَجِئْتُمُوْنَا بِنَارِ الحِقْدِ والأَضَمِ

يَا نَارُ شُبِّي وَقُوْدَ الحَرْبِ وَاحْتَجِبِي ... خَلْفَ الضُّلُوْعِ وَشِيْبِي العَزْمَ بِالحِمَمِ

نَحْنُ الَّذِيْنَ رَمُوْا بِالأَمْسِ شَرَّهُمُ ... بِخَالِدٍ سَيِّدِ الفُرْسَانِ وَالشِّيَمِ

فَبِحَفْنَةٍ مِنْ رِجَالِ اللهِ أَوْهَنَهُمْ ... فَصَارَ كِسْرَى وَأَمْرُ الفُرْسِ في العَدَمِ

وَتَعَرَّبَتْ فَارِسٌ وَالنَّاسُ قَاطِبَةً ... فِيمَا وَرَا النَّهْرِ بِالحَقِّ وَبِالقَلَمِ

وَتَحَوَّلَ الفُرْسُ مِنْ ضِيْقٍ إلى سِعَةٍ ... وَصَارَ مِنْهُمْ رِجَالُ العِلْمِ وَالأُمَمِ

هَذَا ابْنُ سِيْنَا وَذَاكَ التِّرْمِذِيُّ وَذَا ... لِلرَّي مَنْسَبُهُ بِالفَخْرِ وَالكَرَمِ

وَالنَّاسُ كَالنَّحْلِ فِيْهَا لابْتِنَاءِ غَدٍ ... وَالخَيْلُ تَقْدَحُ في عَدْوٍ بِلا سَأَمِ

ذَاكَ الصَّنِيْعُ لَأَجْدَادٍ لَنَا حَمَلُوْا ... هَمَّ الدِّيَانَةِ في عُرْبٍ وَفي عَجَمِ

مَا كَانَ أَصْغَرُهُمْ يَرْضَى وَأَكْبَرُهُمْ ... بِالنَّقْصِ بِالدِّيْنِ أَوْ بِالعِرْضِ وِالذِّمَمِ

مَا أَجْمَلَ النَّاسَ وَالدِّيْنُ لُهُمْ شَرَفٌ ... وَأَقْبَحَ النَّاسَ حِيْنَ الكُفْرِ وَالظُلَمِ

يَا رُوْسِيَا ابْتَعِدِي عَنْ شَامِنَا وَقِفِي ... خَلْفَ الحُدُوْدِ يَكُنْ خَيْرًا لِمُحْتَرَمِ

فَاللهُ غَايَتُنَا وَالدِّيْنُ مَطْلَبُنَا ... وَالرُّوْحُ نَبْذُلُهَا حَقًّا بِلا نَدَمِ

مَا أَحْسَنَ القَبْرَ حِيْنَ النُّوْرُ يَمْلَأُهُ ... وَأَقْبَحَ العَيْشَ بَيْنَ الكُفْرِ وَالتُّخَمِ

إِمَّا الحَيَاةُ وَدِيْنُ اللهِ حَاكِمُهَا ... وَالعُرْبُ فِيْهَا رِجَالُ السَّيْفِ وَالقَسَمِ

أَوْ نَطْلُبُ المَوْتَ في سَهْلٍ وَفي جَبَلٍ ... خَلْفَ الغُزَاةِ وَيَا وَيْلٌ لِمُنْهَزِمِ

بِالشَّامِ أَوْصَى رَسُوْلُ اللهِ مِنْ فِتَنٍ ... كَاللَّيْلِ شَبَّهَهَا في حَالِكِ الظُلَمِ

يَا خِيْرَةَ اللهِ مِنْ أَرْضٍ وَمِنْ بَلَدٍ ... نَفْدِيْكِ بِالمَالِ وَالأَوْلَادِ والنَّسَمِ

يَا خَالِقَ الكَوْنِ صَبِّرْنَا فَشِيْمَتُنَا ... تَوْحِيْدُكَ اللهُ بِالأَفْعَالِ وَالكَلِمِ

وَاجْعَلْ لَنَا النَّصْرَ أَوْ مَوْتًا لَهُ فَرَحٌ ... يُعْطِي الحَيَاةَ حَيَاةَ الرُّوْحِ وَالقِيَمِ

الفُرْسُ وَالرُّوْسُ وَالرُّوْمُ قَدِ اجْتَمَعُوْا ... يَا طَالِبَ العِزِّ شُدَّ القَوْسَ وَاحْتَزِمِ

وَالنَّفْسَ خَالِفْ وَبِعْ فَالحُوْرُ تَرْقُبُنَا ... والشَّامُ مَهْرَعُنَا مِنْ سَطْوَةِ الأَلَمِ

ما هو غذاء الطفل العقلي؟

الإدارة

استضاف علي صديقه نبيل في منزله الجديد، وجذب معه أطراف الحديث عن مواضيع شتى، وأثناء ذلك دخل عليهما حسن (أخو علي الأصغر) باعثا بجوال، استغرب نبيل تصرَّفَ الصغير، ومن ثمَّ دار بينهم نقاش كالتالي:

نبيل-: ما هذا أسلوب التربية الجميلة، يا علي، عليك أن تهتم بأخيك الصغير قدر اهتمامك بنفسك.

علي-: أحب أن يطلع على أشياء حديثة من خلال رسوم متحركة.

نبيل-: أراك تتصرف عشوائيا تجاه أخيك، هلا خططت له برنامجا جميلا لتنمية مواهب صغيرك، وأقصد به برنامجا يجمع القراءة والتسلية، ويستهدف تشويق الصغار إلى القراءة.

علي-: أكتفي بالمرئيات، كي لا نقع في عناء شراء الكتب وقراءتها للأطفال.

نبيل-: المرئيات وحدها لا تنمي شخصية الطفل، بل تضره في بعض الأحيان، والقراءة هي التي توسع آفاق عقل الطفل، وتتيح له فرصة التفكير الحر بمستواه، وفي المقابل تحصر المرئيات آلية تفكير الطفل في مشاهد محددة قد لا تناسبه مستواه العقلي.

علي-: تقصد أن نشتري له الكتب، وهو يتبرأ من كتبه المدرسية ويعلن مله منها؟

نبيل-: الكتاب صديق لا يمل، ولكننا نقع في الخطأ في اختيار الكتب المناسبة لمستوى الأطفال.

علي-: حسنا، إذن دلني على أسلوب مناسب يتشوق به الصغار للقراءة.

نبيل-: الحل هو أدب الطفل، علينا أن نهتم بأدب الطفل كما نهتم بطعامهم وشرابهم وملابسهم. الأمر في غاية البساطة، لا يحتاج إلى العناء، كل ما عليك هو أن تتابع أدب الطفل، وتوفر لصغيرك كل ماهو هادف بناء من قصص محبوبة وحكايات مشوقة.

علي-: هل لك أن تحدد لي بعض الكتاب المهتمين بأدب الطفل، كي نتابع مطبوعاتهم؟

نبيل-: لم لا، عليك أن تتابع مكتوبات نجيب الكيلاني، وكامل الكيلاني، ومكتوبات الشيخ أبي حسن علي الندوي الخاصة بالأطفال، ودكتور طارق أحمد بكري، وغير ذلك من مجلات تهتم بأدب الطفل، مثل مجلة البراعم، ومجلة سعد ومجلة سمير، وكونا الصغير، وكذلك مطبوعات لبنان ناشرون.

علي -: شكرا على هذه المعلومات النافعة، وسأبدأ الاعتناء بهذا الجانب من اليوم إن شاء الله.

نبيل-: موفق دائما إن شاء الله، ولا تنس أن الجوال مضر لعقول الناشئة قبل أجسامهم.

ينابيع المعرفة

الفقه والطب والحكمة معاً...

إن مالكا رضي الله عنه لما وادع يحيى بن يحيى، قال له: أوصيك بأربع كلمات: الأولى أجمع فيها لك فقه الفقهاء: إذا سئلت عن شيء لا تعرفه، فقل: لا أدري. والثانية، أجمع لك فيها حكمة الحكماء: إذا جالست قوما، فكن أصمتهم، فإن أصابوا أصبت معهم، وإن أخطأوا سلمت. والثالثة، أجمع لك فيها طبّ الأطباء: أن تضع يدك في الطعام وأنت تشتهيه، وترفع يدك وأنت تشتهيه؛ فإنك إن فعت ذلك، لم يصبك مرض إلا مرض الموت. وفي الحكمة: إذا امتلأت المعدة، نامت الفكرة، ورقدت الأعضاء عن العبادة.

وأنت فيهم!

سئل ابن الجوزي: هل يوجد في القرآن ما يشير إلى هذا المثل: لأجل عين ألف عين تُكرم؟ قال: نعم، قال تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ الأنفال: ٣٣

السُّكر الحلال!

تخيّر من الكتُب ما يصقّل ذهنك، ويرقّق عاطفتك، ويغذّي روحك، ويُذهِلك عن كل شيء حولك، فتزداد إلى عقلك عقولا، وإلى روحك أرواحا، حتى تسكر بما تقرأ ويسكر بك، وذلك هو النبيذ الزلال، والسُّكر الحلال !

سوء الظن بالله تعالى

سُئل الإمام الشافعي : كيف يكون سوء الظن بالله ؟
قال : الوسوسة، والخوف الدائم من وقوع مُصِيبَة، وترقب زوال النعمة، كلها من سوء الظن بالرحمن الرحيم.

قُل للذي مَلأ التشاؤمُ قلبَه ** ومضى يُضيِّقُ حولنا الآفاقا
سرُّ السعادةِ حسنُ ظنك بالذي ** خلق الحياةَ وقسَّم الأرزاق

الأمثال العربية المختارة

1 -: **إن البغاث بأرضنا يستنسر:** البغاث هو طائر ضعيف صغير الحجم، ولكنه يصير كالنسر عند الصيد. ويضرب هذا المثل للضعيف الذي يصير قويا بسبب ما، تقول: إن الجيوش الغربية ليست قوية بذاتها، ولكنها بغاث استنسر ببسب هوان المسلمين.

2 -: **أتتك بحائن رجلاه:** الحائن: الهلاك، والمعنى، حملتْه إلى هلاكه رِجْلاه،ويضرب هذا المثل فيمن سعى إلى مضرته وطلب هلاكه وجرى إلى حتفه. تقول لمن أصيب بالأذى رغم حذره الشديد: أتتك بحائن رجلاه.

3 -: **أبلعني ريقا:** أي أمهلني ساعة مقدار ما أبلعه ولا تعجل عليَّ! يضرب عند طلب المهلة في مقام المحاورة والإكثار من السؤال واستدعاء الجواب حتى يعوق الاشتغال بالجواب عن بلع الريق. تقول لمن يكثر عليك السؤال ولا يمهلك: أبلعني ريقا.

4 -: **مَا تَبُلُّ إِحْدى يَدَيهِ الأُخْرَى:** يضرب للإنسان البخيل. تقول عن بخيل: كيف يمكن أن ينفق علينا ولا تبلّ إحدى يديه الأخرى.

5 -: **البطنة تذهب الفطنة: البطنة بالكسر:** امتلاء البطن طعاما، والفطنة: الذكاء والحذق. تقول من ياكل كثيرا ولا يشبع ترغيبا في تقليل الطعام: البطنة تذهب الفطنة.

قطوف لغويّة

درجات الصداقة في اللغة العربية

1 -: التِرب : مثيلك في السن.
2 -: الزميل : رفيق العمل.
3 -: الجليس : من يصحبك في مجلسك.
4 -: السمِير : من يحدثك ليلاً.
5 -: النديم :من يصاحب في شربك.
6 -: الصاحب :من يلازمك طوال اليوم.
7 -: الرفيق : من يصاحبك في سفرك.
8 -: الصديق : من صدقك وصاحبك بودّ.
9 -: الخِل والخليل : من اسكنك قلبه بصدق.
10 -: الأنيس : من أنس حظوره وأراح بالك.
11 -: النجيّ : من أسر في الحديث لكَ أسراراً.
12 -: الصَّفيّ : صديقك المخلص.
13 -: القرين : من كان وصلكَ بهِ روحياً قوياً.

كلمات وردت اسما وفعلا برسم واحد في اللغة العربية

أسرى

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ ﴾ الأنفال: ٦٧، أسرى اسم
﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ ﴾ الإسراء: ١ أسرى فعل

أظلم

﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ﴾ النجم: ٥٢ أظلم اسم
﴿وَإِذۡ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْ﴾ البقرة: ٢٠، أظلم فعل

أعلم

﴿قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ البقرة: ١٤٠، أعلم اسم
﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾البقرة: ٣٠، أعلم فعل

قال العرب في معنى الإشارة:

1-: أشار بيدهِ.
2-: أومأ برأسهِ.
3-: غمَزَ بحاجبِهِ.
4-: رمَزَ بشفتِهِ.
5-: لمع بثوبِهِ.
6-: ألاح بكُمِّه. (فقه اللغة / الثعالبي)

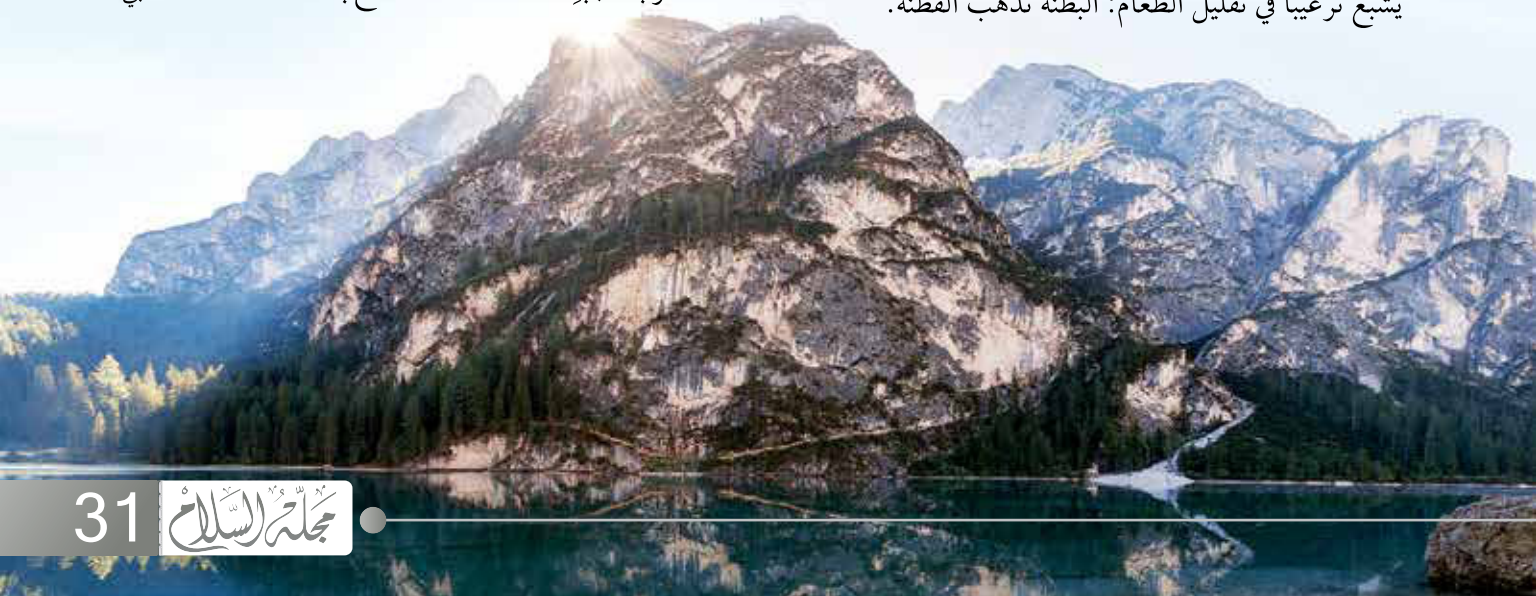

أيهما سارق؟

محمد حذيفة رفيق

خرّيج مدرسة ابن عباس رضي الله خرّيج مدرسة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما

في ظلام الليل الحالك، سواد يتحرك من طرف الزقاق، إذ بالقمر المتألق يتكشف من وراء السحب القاتمة المتراكمة، تجلى بنوره شخصه، توقف ونظر وراءه فلم يجد إلا فراغا وظلاما حيثما انتهى إليه بصره، ركز النظر في زوايا الزقاق ومداخله، لم يجد شيئا يسوءه، ثم رفع بصره إلى القمر كارها له، وهَمْهَمَ بشتمه؛ لأن نوره أبغض شيء إليه في هذا الحين.

واصل سيره حتى انتهى إلى زاوية السكة، توقف قليلا والتفت يمينا ويسارا، ثم تقدم نحو اليسار. بيوت متواصلة إلى نهاية الزقاق، بدأ يمشي رويدا رويدا حتى توقفت قدماه عند بيت... له باب ضخم وأسوار عالية. لمس الباب ثم أصعد النظر إلى أعلاه، فوجده عسير الصعود والوصول؛ مع أنه كان قادرا على أن يتسوره، ولكنه لم يك يريد أن يتحمل جهدا كبيرا؛ فكان قريبا من الغلس، وقد عزم الرجوع قبل بزوغ الفجر، كان دأب أهل المدينة أنهم يخرجون من بيوتهم مبكرين، فكان من المصلحة أن يقضي حاجته وينفذ خطته قبل أن ينكشف الظلام... من ثم ترك هذا البيت وتقدم نحو آخر...

بيت قصير الحائط، وله باب أقصر! فلم يطل الفكرة - لأنه لم يبق من الليل إلا هزيع -، تسوّر الباب في لحظة، وطفَر في البيت في أخرى، أخذ يدير النظر في البيت، لمعت عيناه حينما رأى مدخل البيت محفوفا بالأزهار والأعشاب، كأنه روضة الجنان... أيقن أنه لم يسُقْه ا لقدَ ر إلى هذا المنزل المكنون إلا لغرض عظيم ونفع جليل وفتح مبين.

أخذ يسير نحو باب المنزل، وضع يده على الباب وأراد أن يضغط بيديه على المقفل حتى يكسره، إذ حدث به ما لم يكن يحسبه!! اندفع إلى الداخل بشدة وانزلق على الأرض حتى كاد أن يعثر عثرة جارحة، لو لم يتماسك نفسه؛ لأن الباب كان مفتوحا!

تماسك نفسه من توّه ووقف صامدا حتى يقدر على مواجهة نازلة إن نزلت، ولكن وجد الساحة فارغة والجو ساكتا، وفي زاوية في نهاية الدار... مصباح يشتعل وينور البيت كله...

دخل الغرفة الأولى بجنب الباب وجعل ينفُضُها، وكان على رجاء عظيم منذ أن دخل البيت، وقد ازداد فرحا لما وجد الغرفة فارغة،... ولكنه بعد دقائق معدودة أمسى كامدا مغضَبًا؛ لأنه لم يجد فيه شيئا مما يبتغيه، فليس في الغرفة إلا الحصير المبسوط، والوسائد المنسَّقة، والرف الخشبي الذي فيها مصاحف وكتب!!

حزن وأسف وغضب، كله اجتمع عليه وتراكم... ضم شفتيه وطبق يديه وتقدم نحو الغرفة الثانية... ولم يزل يرجو رجاءً قويا، فالبيت واسع، وله حجرات عديدة!

دخل الغرفة الثانية، بدأ يفتش ويقلب... وجدها شبهة الأولى، لم يختلفها إلا يسيرا، فازداد غيظا وسب الدار وربها...

ثم أسرع إلى الثالثة، وجدها تختلف أختيها في مظهرها، ففيها

أسِرَّة وخزانتان حديديتان، لمس الأولى فلم يجد لها قفلا، فتحها... ثم الثانية، لم يكد يتمالك نفسه من شدة الحَرَد والخنق... وجد الخزانة مليئة بالمناديل والقماش والكتب! لم يجد في أيهما درهما ولا دينارا ولا شيئا نفيسا يدخر.

جعل يحلف في نفسه أنه لو وجد بالدار صاحبها لَيجعلنّه نَكالا.

لم يزل يتجول حتى لم يبق في البيت إلا حجرة في زاوية البيت وعلى بابها مشعل يضيء، وكان على وجَل من هذه الغرفة من جراء المصباح، ولكن الآن... لم يبق له بد من اقتحامها، عسى أن يظفر فيها بما يَسرُّه.... أخذ يأتَل نحو هذه الغرفة الأخيرة أتَلالًا، كلما يقترب من الباب يزداد وجَلا، وترتفع دقات قلبه...

حتى وضع يده على الباب ودفعه دفعا خفيفا... أطّ الباب أطًّا، وانفتح بصرير مخيف على منظر غريب ومَظهر مُدهش... في الغرفة رجل ساجد يبكي ويتبتل!

اهتز قلبه، وارتعشت جوارحه، وبرّق بصرُه!! سيطر عليه الوجد، وتسلط عليه الهيبة، حتى شُلت رجلاه واثاقلتا، ولم يجد بهما حَراكًا.

بدأ يتقهقر رويدا رويدا... مهلا مهلا... حتى وصل إلى الباب، وتدوّر، ووضع يده عليه ليفتحه؛ إذ به صوت من ورائه....!!

• **إلى أين يا فلان؟**

كان يمكن له أن يفر من غير أن يتعرضَ لأي شيء يصده أو يمنعه... ولكنه ربما تذكر يمينه أو أراد أن يُري القائل حنكته لو أقبل على اقتحامه؛ فتوقف وانتظر منه ما يرصده، أو عساه أن ينتفع بشيء يستغل به هذه الليلة التي قد أيقنها خاسرة ....

عاد القائل إليه:

• **يا صاحبي، لعلك حزنت على ليلتك هذه... بأنك خسرتها!؟**

سأله صاحب الدار بلطف ورقة، ولكنه كان يَشفِن() إليه من غير أن يجيبه بلسانه أو يومئ إليه إيماء!

فنطق ثالثا: **أيا أخي، إن لم تجد شيئا من الدنيا، أولا يحسن بك أن ترجع بكنز من الآخرة!؟**

ما ألطفَ صوت، وما أرقَّ لهجة! ما أصدق عاطفة، وما أرحمَ قلب!

كأن ألفاظه نفذت وثبتت في سويداء قلبه، فلم يلبث أن أومأ بـ«نعم» وانقاد للقائل... أتى به إلى هذه الغرفة الأخيرة، وقدَّم له إبريق ماء فتوضأ به، وأقامه على سجادته ليصلي، فصلى ركعات وجلس صاحب البيت وراءه يدعو، حتى بزغ الفجر، فخرجا نحو المسجد معًا.

بعد صلاة الفجر جلس **مالك بن دينار** رحمه الله تعالى في زاوية المسجد يقرأ حزبه، حتى طلعت الشمس فصلى، ثم اجتمع حوله من معارفه.

سأله أحدهم: يا أيها الشيخ، قد رأيت اليومَ، يُرافقك إلى المسجد من لم أره قبل اليوم معك، مَن كان هذا الرجل؟

فتبسم **مالك بن دينار** رحمه الله تعالى، وحكى لهم قصة البارحة، وقال: «**جاء لِيسرِق فسرَقْناه!**» (١)

الهوامش:

١-أصل القصة من الكتاب مأخوذة من «سير أعلام النبلاء للذهبي: ٥/ ٣٦٣»، وقد زدت عليه ما زدت من عندي. وأصل القصة في المرجع كما يلي: «دَخَلَ عَلَيْهِ لِصٌّ، فَمَا وَجَدَ مَا يَأْخُذُ، فَنَادَاهُ مَالِكٌ: لَمْ تَجِدْ شَيْئاً مِنَ الدُّنْيَا، فَتَرغَبُ فِي شَيْءٍ مِنَ الآخِرَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: تَوَضَّأْ، وَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ. فَفَعَلَ، ثُمَّ جَلَسَ، وَخَرَجَ إِلَى المَسْجِدِ، فَسُئِلَ: مَنْ ذَا؟ قَالَ: جَاءَ لِيَسرِقَ، فَسَرَقْنَاهُ» اهـ.

من السعود إلى النحوس

بنت سردار عظيم / الطالبة بالمدرسة العثمانية

مالت الشمس إلى المغيب ولم تبق من أشعتها إلّا خيوط تنفذ من بين قطع الغمام المتناثر حيال الأفق ولبست السماء سربالها وسحبت السحائب أذيالها- لا تسمع إلا غزفة الرياح والقلم معلّق بين أصابعي وأمواج الأفكار متماوجة لكن لا تمنحني يدي الضعيفة أن أكشف عن حقيقة المفتريات التي رماني بها الناس-

أريد أن أبكي بدمع يحاكي هاطل الأمطار على وهني وخوري ، يوقعني الأسف في قعر الندامة عندما أتذكّر موقف ميلادي، كيف الناس بسطوا لي وجوههم ومهدوا لي أكنافهم بترحيب حار- قد استنار وجهي بالطرب وأحسَستُ كأنَّ الدنيا كلَّها باسمة حولي- ولكن بعد مدة تغيّرت الأفراح وتبدَّل كأس الهناء بالشقاء وبدت معالم الحزن والألم في كلِّ مكانٍ لّما لمسَتْ كلمةُ الناس مسامعي أنني جئتُ بالأحزان والأتراح لهم و رأيتُ جميع الناس يسبُّونني و يلومونني-

طرقني هذا الخبر المكدَّر أنني مشئوم للجميع فغمزني موج من الحزن و لاحظت كلَّ أحد في العالم مضطرب البال طائر الفؤاد شارد الخاطر لا يرى للنوم إلّا غرارا ولا للراحة منارا- فأسفتُ أسفا شديدا على وجودي- و فكّرتُ لماذا صرت مشؤوما لهم ما هو جرمي و تقصيري ؟؟ لماذا لا يصنع الإنسان ذلك في الحسبان أن أحكم الحاكمين كل شيء بقبضته يأمر ما يريد ويفعل ما يشاء لماذا لا يخطر بباله أنه ماذا يصنع في الكون- لماذا يفسد في أرض الله لماذا يوَسِّخه بدنس الزنا وعفونة القتل لماذا يأمل الربا و مال اليتيم لِمَهْ ينهر اليتيم و يقهر السائل؟ ألا يعرف أنه يرتعش العرش بآهات المظلوم و زفرات المكروب ؟ هل يعتقد أنه يفسد أرض الله ولا يعاقبه الله تعالى لماذت لا يفهم عندما تكثر الذنوب والمآثم في الأرض يأتي غضب الله تعالى على أهله-

وأسفاه!!! على حالي كنتُ السنة ٢٠٢٠ء سُمِّيتُ بالمشؤوم والآن امتطيتُ صهوة الارتحال وأخذ بيدي عصا الترحال لأنني صرت مجمع الضعف والوهن فالآن مال ميزان الليل وشقّ الفجر سناه الوضاح تغرد العصافير على فنن الأشجار فأوصى الناس بألا يتشاؤموني لأنني مطيع لحكم أحكم الحاكمين وأرجو لأهل الكون سنة مزهرة كزهر الفجر-

أطلب من البشرية ألا تسبوني ولا تظنوني زمانا سيئا و نحسا بل على الناس أن يستغفروا على أعمالهم و يطلبوا العفو بارئهم فإنه غفور رحيم ولا ينسوا قول الله تعالى

﴿ وقَالوا ما هي إلاَّ حَياتُنا الدُّنيا نموتُ و نَحْيا وما يُهْلِكُنا إلاَّ الدَّهرُ وما لَهُم بذلك مِنْ علمٍ إنْ هُم إلاَّ يَظُنُّونَ﴾ (سورة الجاثية ٢٤)

الملتمس الوضيع من سنة كئيبة

Classic
Authentic Quality Product

Fresh Every Day.. The Classic Way!

A Healthy start!

Classic Bread is Baked with the goodness of Nature..

AEON & TRISL

DUBAI | LONDON | KARACHI | GUJRAT | LAHORE

AWARD WINNING REAL ESTATE BROKERAGE FROM
DUBAI & LONDON

NOW OPERATING IN
PAKISTAN

DEALING IN

RESIDENTIAL & COMMERCIAL PROPERTIES | OFF PLAN PROPERTIES

DHA | BAHRIA TOWN | AND OTHER PREMIUM COMMUNITIES

PAKISTAN | DUBAI | LONDON

AUTHORIZED AGENTS FOR

EMAAR | ARY LAGUNA | MANGLA GARRISON HOUSING
DOLMEN GROVE | 81 TOWER | CHENAB GARDENS | LAKE CITY

FOR MORE DETAILS
021-35372020-22

www.aeontrisl.com
aeontrislpakistan